العرب ثوب رقيق شبه المنحفة » . ويقول التبريزي في (شرح الحماسة ـ ص 492) : « الريطة هي الملاءة » . ويقول بعد ذلك (ص 504) : « هي الملاءة اذا لم تكن ذات لفقين » .

والحقيقة اننا سنرى لدى كلمة ملاءة ان هذا الثوب يتألف من لفقين مخيطين معا ـ اما الحبرة المحدثة فتتألف هي كذلك من لفقين مخيطين معا . واما الرداء الواسع المسمى ريطة فتلبسه النساء (كتاب الاغاني لدى كوزكارتن ـ طرائف عربية ـ ص 137) . راجع البقية في كلمة ملاءة . وكانت ريط الشام على الاخص مشهورة للغاية . (راجع النويري ـ نهاية الارب ـ مخ 273 ـ ص 92) .

ولكن كلمة ريطة ـ كما وردت في عبارة من مقامات الحريري ـ ص 254 ـ لا يمكنها ان تشير الى رداء واسع . فنحن نقرا : « فاذا شيخ عاري الجلدة ـ وقد اعتم بريطة » . ويلاحظ الشارح (ص 255) ـ والحق معه ـ ان كلمة ريطة ليس لها هنا المعنى الذي تشير اليه عادة . فلو كانت كلمة ريطة تدل هنا على رداء ـ لما استطاع المؤلف ان يقول : « فاذا شيخ عاري الجلدة » . وعلاوة على ذلك فانني سأجيز لنفسي ملاحظة ، ان هذه الجملة قد تلتها جملة اخرى مباشرة هي : « واستئفر بفويطة » . وعلى ذلك فلو كانت الكلمة هنا قد اشارت الى رداء كبير لما استطعنا ان نرى الخرقة التي كانت تستر عورة الشيخ . ولذلك قال الشارح ان الريطة تدل على كرزية (حقيقة قوله : شبه الكرازي) ومعنى ذلك خرقة من الصوف تلف الراس . وان الكلمة قد اخرجت عن معناها الاصلي (مغير عن اصله) ـ وكذلك كلمة فوطة ـ التي لم تكن في الاصل تشير الا الى قطعة قماش غليظة مستوردة من الهند ـ ولكنها بعد ذلك اصبحت تشير الى (ضرب مما يعتم به) . وهكذا نرى ان الشارح لا هو ولا مؤلف هذا الكتاب قد اتفق احدهما مع فريتاك حول المعنى الذي يشار به الى كلمة ريطة في هذا النص . (1) .

الزبون

لا وجود لهذه الكلمة التركية الاصل في القاموس.

والزبون اسم نوع من الصديري او الستيرة القصيرة ـ وكل منهما له كمان واسعان ـ مطرزان . والزبون معروف غاية المعرفة في طرابلس الغرب . راجع (رحلة النقيب ليون (اسفار في الشمال الافريقي ـ ص 6) حيث تجد كلمة زبون .

زربول ـ زربون

احيل القارىء الى الكلمة الاخيرة ـ اعتقادا مني بأن هاتين الكلمتين ليستا سوى تحريف لكلمة شربيل.

الزرمانقة

لعدم وقوعي البتة على هذه الكلمة ـ ليس بطوقي ان اضيف شيئا الى التفصيلات المعطاة من قبل فريتاك .

اذن تشير هذه الكلمة الى نوع جبة صوفية . ويرى بعضهم ان هذه الكلمة ان هي الا تحريف للكلمة الفارسية اشتربانه ـ ويقولون ان هذا اللباس قد اكتسب هذا الاسم لانه كان يطلق بصورة خاصة على حداة الابل . (من اشتر وهو الجمل ـ ومن بان وهو الحارس ومن الحرف الملحق الهاء المربوطة) . ويقدر آخرون ان هذه الكلمة هي عبرية (؟) .

الزلحم

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكننا نقرا في كتاب هوست (اخبار من مراكش ـ ص 116 و 117) : « ويرتدي بعضهم فوق الحيك زلحما ـ وهو من نفس قماش الحيك . ومزود بقبع كبوشي لتغطية الراس في اوقات سوء المناخ ـ ويعلق بهذا القبع لوزة من الحرير او الصوف تتدلى على الظهر . ويحلى قبل هذا اللباس من الجهة الامامية احيانا بلوزات على الطريقة التركية . وهذه تكون مطرزة الحواشي من الاسفل وذات هدبات صغيرة وحواش بديعة . راجع اللوحة الخامسة عشرة ـ الصورة الثالثة والصورة الرابعة » . ويكتبها لمبريير في كتابه (سياحة في مراكش ـ ص 229 ـ 295) هكذا Sulam

(1) جاء في المستدرك على المعاجم العربية للمؤلف ـ تحت كلمة « ريطة » البيت التالي ـ الوارد لدى النويري في تاريخ افريقيا ـ ص 50 ـ المشير الى المرابطين ولثامهم :

اذا التثموا بالريط خلت وجوههم ازاهر تبدو من فتوق الكمائم (المترجم)

ـ ويقول ان الزلحم رداء فضفاض هفهاف ـ معمـــول من الصوف الاوربي الازرق أو الابيض ـ وهو يتدلى حتى القدمين وقد زود بقبع كبوشي لوقاية الراس . ويكتب ريلي Riley في كتابه (بوار تجارة السفن الشراعية الامريكية ـ ص 196 و 198 و 431) هذه الكلمة على نفس الشاكلة ـ ويعرض علينا هذا الرحالة التفصيلات التالية : « ان المعطف او الـ Sulam مؤلف من جوخ اسود غليظ ازب اشعر ـ والطريقـــة المعمول بها تماثل طريقة عمل المعطف الاوربي ـ وهو مزود بقبع كبوشي . ومع ذلك فهو مقفل من منتصف الصدر ـ وهكذا فلاجل ان يرتديه صاحبه يتحتم عليه ان يدخل راسه من الفتحة العليا ـ وهو يغطي مـــن لابسه الذراع ـ هكذا يرتديه المرتدون » .

ويكتبه همسو دى كرابر فى كتابـــه (مـــرآة جغرافية واحصائية للامبراطورية المراكشية ـ ص 81) هكذا (سلهام) Sulham ويقول انه معطف يصنع عادة من الكشمير الابيض . وهو اوسع من البرنـــس ـ ويلبس بدله . ويقول جاكسون فى كتابه (تقرير عـن مراكش ـ ص 138) ان هذه الكلمة تلفظ وتكتب هكذا (Silham) ـ وهو كما يرى هذا الرحالة معطف من الجوخ الازرق العاتك ـ ومرتدوه هم البربر » . وبعد ذلك (المرجع نفسه) يعلمنا المؤلف نفسه ان رجال البلاط لا يرتدون الحيك مطلقا اثناء مثولهم بين يدي الامبراطور ـ ولكنهم يلبسون الزلحم دائما ـ او يرتدون معطفا مشغولا من الصوف الأبيض .

الزعبـــوط

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويرى لين فى كتابه (المصريون المحدثون ـ ج 1، ص 44) ان الزعبوط يرتدى فى مصر من قبل الذكور من سواد الشعب ـ وهو معمول من قماش اسمر ـ وتفتح فيه فتحة من العنق الى حدود الحزام وله كمان واسعان . ويلبس عادة فى الشتاء . ويقول بارثي فى كتابه (جولة خلال صقلية والمشرق ـ ج 2 ـ ص 275) « لا يرتدي الفلاحون فى مصر الا دراعة (جلبابا ؟) سمراء غليظة » .

ولا مرية ان هذه الكلمة ليست عربية . وسنرى فى قابل الصفحات ان الكلمة الاسبانيـــة Capote قد تسللت الى اللغة العربية التي يتكلمها الافارقـــة ـ فهي لديهم (كبوط) . ومن المحتمل ان كلمة زعبـوط كانت (كابوت) Capote فلفظ الحرف ç كالسين لالحاق علامة السيدى Cédille بقاعدته فاصبـــح Capote (سابوت) (زعبوط) . ومع ذلك فـــلا تاخذوا قولي على انه اكثر من تخمين .

الزنجـــب ـ الزنجبـــان

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 58) هاتيـــن الكلمتين بانهما المنطقة ، اى الحزام الذهبي او الفضي.

الزنجبـــة

تشير هذه الكلمة الى ما تشير اليـــه الكلمـــة الفرنسية تورنير : tournure) لفافة ، ويفسرهـــا القاموس (ط كلكتا ، ص 98)) كلمة العظامة .

الـــزنـــــار

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس بالمعنى المراد . ونحن نعلم ان كلمة زنار تدل على حزام ، ولكـن هذا النوع من الحزام لم يكن يلبسه المسيحيون ، كما يؤكد ذلـــك الزمخشـــري : مقدمـــة الادب :

(Lexicon Arab. Pers., part. I, pag. 51 :

وبهذا المعنى نقع على هذه الكلمة لدى الكتاب الشرقيين . وليس من واجب مجهودي هذا التحدث عن الملابس التي يرتديها النصارى فى الشرق ، ولو لم يكن لكلمة زنار حتى الان معنى آخر لما سمحت بقبولها فى قاموسي . ولكن هذه الكلمة كانت تشير فى اسبانيا كذلك الى : مئزر غليظ يلبسه الفلاحون .

ويفسر بيدرو دى الكالا فى كتابـــه (مفـــردات اسبانية عربية) هذه الكلمات :

Capote vestidura rustica وكذلك

Vestidura para el campo

بكلمة زنار وجمعه زنانير . ونجد فى الاحاطة لابـــن الخطيب (مخ دى كايانكوس ـ ص 187) النص التالي: « فرجعت الى داري وقلت اخرج الى الوادي الى باب القنطرة اغسل ثيابي من درن السجن وافر الى العدو. فقلت لامراة تغسل الثياب : « اغسلـــي ما علـــي . وجردتها . ودفعت لي زنارا انبسه . فبينا انا كذلك واذا بالخصى قائد ابن مرذنيش (كذا) يسوق سنين (ستين) رجلا من اهل الجبل لابســـين الزنانيـــر .

فرآني على شكلهم فامر بحملي الى السخرة والخدمة(1) بحصن مشقوط عشرة ايام . فقمت اخدم واحفر مدة عشـــرة ايـــام .

الزنط وجمعه الزنـــوط

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكننا نقرا لدى ابن اياس (تاريخ مصـــر ، مخ 367 ، ص 390 ، حوادث سنه 840) ــ اشهر السلطان المنادي فى القاهرة بان لا فلاح ولا غلام يلبس (رنط) (كذا) احمر فامتثلوا ذلك. ونقرا بعد ذلك (ص 401): ثم انه نادى (بان ؟) لا فلاحا ولا عبدا يلبس رنطا (كذا) احمر . وكانت الغاسلة اذا طلبت الى ميتة تفعل كما تقدم (2) . وقيل انه راى فى المنام عربا بزنوط (كذا) حمر شاء حتينه (ختينه ؟) .

ان السبب الوحيد الذي حملني على وضع هذه الكملة فى باب الزاي وليس فى باب حرف الراء هـو اعتقادي بان احتمال اغفال وضع النقطة فوق الـــراء اكثر سهولة من اضافتها الى حرف الراء من قبـــل الناسخ . وعلى كل حال ، فانني اعترف بجهلي التام حول نوع اللباس الذي تشير اليه هذه الكلمة .

السبجة ــ السبيج ــ السبيجة

يقول الجوهري (ج 1 ، ص 142) عن سبجـة انها (كساء اسود) ، ويقول القاموس (ط كلكتا ، ص 236) المقالة نفسها ، ولكنه يضيف ان هذه الكلمـــة تشير كذلك الى البقيرة . اما سبيـــج وسبيجـــه ، فالجوهري يقول : البقير واصله بالفارسية شبي وهو القميص . والمعروف ان الكلمة الفارسية سبي تدل على قميـــص النـــوم (اي شميـــز دى نـــوي Une chemise de nuit) ، كما يقول العرب .

السبلـــــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي الثوب الاول من الثياب التي تتالف منهـــا التزييرة ، اى الزى الذي تلبســه النساء فى مصر فوق

---

(1) لقد لاحظت فى موضع آخر فى (الصحيفة الآسيوية ــ 4 ــ ج 3 ــ ص 400) من المحتمل كثيرا ان كلمة خديم تشير الى جندي . والواقـــع ان مويـــت Mouette يؤكد فى كتابه (نهايـــة غزوات مـــولاى Archy ان رماة السهام فى مراكش يسمون Le Codem الخديم . فمن السهولة اذن أن نرى ان كلمة Le Codem ليست سوى الكلمة العربية الخدام ــ وهي جمع خادم ــ والكلمة لها معنى كلمة خديم . وكلمة خدمـــة الموجودة فى نصنا ــ تؤخذ بمعنى خدمة عسكرية . وابن الخطيب (مخ دى كايانكوس ــ ص 110) حين يتحدث عن احد القواد البارزين ــ يعربعن فكرته بهذه الكلمات : « كان له فى الخدمة مكـــان كبير وجاه عريض » . ولعل هذا يجعلنا نفكر بوجوب ترجمة الجملة هكذا : فى الخدمة بوصفه جنديا. وبعد ذلك يجب ترجمة الكلمتين العربيتيـــن (فقمت اخدم ــ هكذا : فقمت اخدم فى هذه القلعـــة بوصفي جنديا . ومع ذلك فلا اعتقد بلزوم تـــرجمة هذه الجملة على هذا المنوال . والصيغة الثانية لفعل خدم تؤخذ على ان لها عدة مفاهيم عبثا يبحث عنها الباحثون فى قواميسنا . وتستعمل بمعنى اشتغل وعمل . فنحن نقرا فى رحلة ابن بطوطة(مخ دى كايانكوس ــ ص 196) : وكان يخدم اصحابه ومماليكه فى خدمة البستان وبنائه ويقول : لا ارضى ان ياكلوا طعامي وهم لا يخدمون . وكلمة خدمة تؤخذ كذلك بمعنى اشتغل وعمل ــ فنحن نقرا لابن سعيد لدى فريتاك : (قـــادرا على الخدمة) . ونطالع لدى ابن بطوطة (مخ ــ ص 201) : كان عبيده يخدمون تلك الارض نهارا . وقـــد راينا فى نص ابن بطوطة المتقدم ان كلمة خدمة قد استعملت بمعنى الفلاحة فى بستان . واخيرا فان هذه الكلمة تستعمل بصورة خاصة فى معرض الحديث عن اعمال البنائين والفعلة الآخرين . ويقدم لنا ابن بطوطة (مخ . ص 86) النص التالي : « ولما بنى اساسه رفع عن اهل المدينة التخديم فيـــه . وصارت الفعلة تخدم فيه (فيها) بالاجرة . وكلمة تخديم الموجودة فى هذا النص الاخير ستبرر لفظي خدم بالصيغة الثانية فى الامثلة المتقدمةوفى نصنا المقتبس من ابن الخطيب ــ الذي لـــه فى الحقيقة شبه كبير بنص ابن بطوطة الاخير .

(2) راجـــع كلمـــة عصابـــة .

ابوابهن الاخرى ؛ حين يبرزن من منازلهن . ونحن نقرا في وصف مصر (ج 18 ، ص 113) : « السبلة قميص كبير من التفتا يغطي كافة الملابس » . « الا الحبرة والبرقع ، فهو يغطي جميع الملابس التي ترتديها النساء في البيوت » « وتتدلى حتى الارض . والنساء يلبسن السبلة عند خروجهن من دورهن ، سواء رحن الى الحمام او قمن بزيارة . وهن لا يخلعنها الا اذا رجعن خلعها من ادين الزيارة لها ، لا سيما اذا كانت من علية القوم » . ويؤكد لين في كتابه (المصريون المحدثون ؛ ج 1 ، ص 61) ان هذا اللباس كساء واسع هفهاف ، وانه يسمى بالثوب فيساوي على وجه التقريب طوله بتمامه ، وهو مصنوع من الحرير ، ويكون عادة قرنفلي اللون ، وقد يكون ذا لون وردي او بلون البنفسج . وليس هناك ادنى ريب بان هذه الكلمة مشتقة من فعل اسبل .

السبنية

ان هذه الكلمة هي بالتخصيص اسم جنس جمعي مؤنث من كلمة سبني ، وهي تشير الى اقمشة مصنوعة في سبن Saban (مدينة قرب بغداد) . ولكن كلمة سبنية في المغرب تدل على حزام او منطقة (Strophium) . هكذا يرى دونباى في كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 82) (1) .

التساخين

يرى اللغويون العرب ان هذه الكلمة تدل على نوع من الخفاف وعلى ضرب من الطيلسان .

السدوس او السدوس

حول النطق بهذه الكلمة بوسعكم مراجعة تعليقة للعلامة الجليل هامكر المثبتة في كتاب فيرس المعنون (ابن زيدون ؛ لدى الفتح بن خاقان ، ص 128) .

وهذه الكلمة تدل في مذهب اللغويين العرب ، على طيلسان اخضر .

وهناك بيت لابي عبيدة ، يرويه ابن الخطيب .

راجع (هامكر في كتابه القيم) . وارجع الى الجوهري احول كلمة سندس، ج 1 ، مخ 85 ، ص 42)، وانظر شارح ابن خاقان لدى فيرس ، كتابه القيم ، (ص 37 و 126) ، وهذه كلمات البيت (الطويل) :

وداويتها (2) حتى شتت حبشية
كأن عليها سندسا وسدوسا

« لقد عالجتها بحيث انها الان تستطيع قضاء الشتاء كامراة حبشية (اى : تكاد تكون عارية) ، وبوسعها القيام بهذه العملية بكل امان واطمئنان ، كما لو كانت مكتسية بالحرير او بالسدوس » .

ويخيل الينا ان بوسعنا ان نستخلص من هذا البيت ان السدوس كانت ترتديه النساء في الشتاء بصورة خاصة ، ليقيهن من البرد .

السيدارة

اننا نقرا في القاموس (ط كلكتا ـ ص 549) ان السيدارة هي الوقاية تحت المقنعة والعصابة . اذن فهي نوع من الطاقية .

السربال

انني لا اجرؤ على التاكيد ـ كما صنع فريتاك ـ بان هذه الكلمة هي تحريف للكلمة الفارسية شلوار ـ فهي على اقل تقدير لها معنى آخر مغاير كل المغايرة . ويرى القاموس (طكلكتا ـ ص 1470) ان السربال هو : القميص او الدرع او كل ما لبس . ونجد كلمة سربال مفسرة في شرح اشعار جرير (مخ 633 ، ص 311) بكلمة قميص . ويرى كانيس في كتابه

---

(1) ان كلمة سبنية تدل كذلك على قطعة قماش او على منشفة . ويفسرها المطرزي في كتابه (الاقناع ، مخ معهد البلاد المنخفضة ، رقم 73 ، ص 64)بكلمة شقة . ويقول ابن بطوطة (مخ دى كايانكوس) « ثم جاء احد الفتيان ببقشة . والبقشة بضم الباء الموحدة وسكون القاف وفتح الشين هي السبنية (المعجم) . وبوسعكم مراجعة تعليقات كاترمير حول كلمة بقشة . وقد سبق لي في الصفحة 95 ان المعت الى هذه الكلمات .

(2) في مخطوطة ابن قتيبة نجد (وداريتها) ، و Hamaker يفضل هذه الكلمة ، ومع ذلك فان الجوهري وشارح ابن خاقان متفقان على كلمة النص ، وهي تعطي معنى افضل .

(النحو العربي الاسباني ـ ص 171) ان كلمة سربال تشير الى قميص او الى قباء ابيض يرتديه الجنود والحوذيون لوقاية ملابسهم من الادران .

السرموز ـ السرموزة ـ السرموج ـ الزرموزة ـ الجرموق

ان هذه الكلمات جميعا ان هي الا تحريفات للكلمة الفارسية سرموزه ـ وهي نوع من طماق ـ اى من غطاء من لباد للساق يلبس فوق الخف . وكانت كلمة جرموق تلفظ قديما (جرموق) ـ وهي الكلمة التي يشرحها الجوهري (ج 2 ، مخ 85 ؛ ص 111) بانها الخف الواسع الذي يلبس فوق الخف) . ولكن يبدو ان كلمة سرموز قد استعملت فى العصور المحدثة للاشارة الى ضرب صندل ـ نعل Sandale او ربما لتدل على شبشب تلبسه النساء فوق اخفافهن . وفى ايامنا هذه يستعمل البابوش او البابوج نفس الاستعمال . فنحن نقرا لدى المقريزي (وصف مصر ؛ ج 2 ، مخ 372 ؛ ص 360) : « وبه الى الان سكن بياعي اخفاف النساء ونعالهن التي يقال للنعل منها سرموزة . هو لفظ فارسي معناه راس الخف . فان سر راس وموزه خف . وارى اننا ميالون الى الاعتقاد ـ تحت طائلة نص المقريزي هذا ـ الى ان السرموزة لم تكن تلبسها الا النساء ـ ولكنها كانت تلبس ايضا من قبل الرجال ـ خلال القرن السادس عشر على الاقل ـ عندما كتب كتاب الف ليلة وليلة . (راجع ط مكناكتن ـ ج 2 ، ص 65 ؛ ـ وطها بيخت ـ ج 2 ، ص 34) .

ويبدو ان هذه الكلمة لم تعد تستعمل فى مصر ومع ذلك ينبغي ملاحظة ان الكونت دي شابرول فى كتابه (وصف مصر ـ ج 18 ، ص 109) قد ذكر البابوج والسرمه ـ وهما من الاحذية المصنوعة من الجلد المراكشي التي توضع فيها القدم مغطاة بالمز Mest (راجع كلمة مز) . فحين يدخل الداخلون الى احدى القاعات المفروشة بالسجاجيد يخلعون بوابيجهم والسرمه : هذا ما تقتضيه الآداب . فهل يحق لنا ان نستنتج بأن كلمة سرمة اختصار لكلمة سرموزه ؟ .

السراقيل

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولا ادري معنى هذه الكلمة بأي وجه من الوجوه . ولكننا نقرا لدى المقريزي (وصف مصر ـ ج 2 ، مخ 372 ، ص 347) ان العواهر كن يلبسن السراقيل الحمر فى ارجلهن (وفى ارجلهن سراقيل حمر) . وان المخطوطة التي تحمل اشارة الباء ((B)) تذهب المذهب نفسه .

السروال ، الشروال ، السرول ، السراويل

اننا نقرا فى صحيح البخاري (ج 2 ، مخ 356 ، ص 167) ان النبي صلى الله عليه وسلم قد حرم على من يحج الى مكة ارتداء السراويل . ويجب ان نحل محل كلمة السراويل الازار ، فاذا لم يستطع الحاج ايجاد الازار فيجوز له ارتداء السراويل . وهكذا نرى ان كلمة سراويل مشتقة من الكلمة الفارسية شلوار ، وكانت مستعملة منذ العهود الاسلامية الاولى .

والسراويل كانت شائعة الاستعمال فى الاندلس. فهناك عدة مؤلفين عرب من شبه الجزيرة هذه قد تحدثوا عنها ، والاسبانيون قد صاغوا كلمتهم (zaraguelles çaraguelles) من الكلمة العربية .

وفى المغرب كذلك يستعمل هذا اللباس . فنحن نقرا فى كتاب دييكو دى هيدو (خطط مدينة الجزائر ؛ مج 2 ، ص 28) : « ان النساء يرتدين جميعا لدى خروجهن من منازلهن تلك السراويل الكتانية ، التي يجعلنها ناصعة البياض للغاية بمفعول الصابون ؛ وهي تتدلى حتى تصل الى مواضع اقدامهن » . ويتحدث دارفيو فى كتابه (المذكرات ، ج 5 ، ص 289) عن رجال مدينة الجزائر فيقول : « ان لبعضهم قمصانا وتبابين (سراويل) ومعظمهم لا يملكونها قط ، وخصوصا فى فصل الصيف ، فان حرارة الطقس تعفيهم من هذه النفقات . اما مغاربة الريف ، الذين هم علماء القوم وفقهاؤهم فان لهم على الدوام اقمصة وسراويل تكريما لهم واعترافا بفضلهم ، وهم يلبسونها احتشاما » . وبعد ذلك (ص 285) : « ولبعض النساء من عليه القوم سراويل » . ويذكر دييكو دى هيدو كذلك (ص 8 ، مج 2) سراويل القنب لسكان مدينة الجزائر. ويقول مارمول فى كتابه (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 102 ، مج 2) فى معرض حديثه عن الرجال فى فاس : « يرتدي كل منهم سروالا من القنب يتدلى حتى كعبي قدميه ، وهو ضيق للغاية من اسفله » .

والسروال القديم (او دى شوس (Le haut-de-chausse الذي يلبسه الرجال فى

مدينة فاس وارد ذكره كذلك لدى دييكو دي توريس في كتابه (قصة الشرفاء ، ص 85) . كما نجد لدى غليوم ليتغوف (ص 17 ، ج 2 ، رحلات بريسة في القرن التاسع عشر (Guillaume Lithgouve) ان « الرجال والنساء في مدينة فاس يرتدون السراويل (Lange broecken) في حين ان كعب القدم مكشوف » . ويؤكد مارمول (ج 2 ، ص 103 ، مج 1) : « ان النساء في فاس ، لا سيما الاسبانيات الاصل يلبسن لدى خروجهن من بيوتهن ، سراويل مفرطة في الطول ، يطوينها طيات متعددة ليظهرن جمال السيقان حسب اهوائهن (Para proporcionar la pierna) ما دامت هذه الثياب (Las marlotas) لا تصل الا الى منتصف الساق » . واذا آمنا بما يقوله دييكو دي توريس (ص 86) فان النساء في مراكش يرتدين السراويل التي هي واسعة من الجهة العليا وتضيق من الجهة السفلى ، وتتدلى حتى ربلة الساق » . ومع ذلك فان مارمول (ج 2 ، ص 33 ، مج) يلاحظ بنفاذ بصيرة ان نساء مراكش لا يرتدين مطلقا هذا الثوب : « No acostumbran traer çaragueles como las de Fez »

وحتى الرجال في فاس لم يكونوا يرتدون هذا اللباس ، اذا كان ليون الافريقي يقرر الحقيقة في كتابه (وصف افريقيا ، ص 319) . واخيرا فاننا نطالع في كتاب هوست (اخبار من مراكش ص 117) : « اما الاغنياء فيرتدون سروالا من القنب الابيض ، الذي يدعى سرولا Serûal والذي هو في معظم الاحوال واسع فضفاض باسراف . واما البحارة فيرتدونه عادة من الجوخ . راجع اللوحة الخامسة عشرة ، الشكل الثاني » .

وكل ما اعلمه ان المغاربة ليست لهم كلمة اخرى للدلالة على هذا اللباس ، وليست الحالة على هذه الشاكلة مطلقا في مصر ، كما سنبرهن على ذلك بعد قليل ، اذ تستعمل كلمة لباس للاشارة الى ما تشير اليه السراويل بالذات ، وحتى في ايامنا هذه ، فان كلمة لباس شائعة الاستعمال للدلالة على السروال او التبان فقط . (راجع كلمة لباس) . ويقرر الكونت دي شاربول ان كلمة شروال (كذا) تشير الى سروال مملوك ، وهذا السروال احمر ومصنوع من الحرير البندقي » . (وصف مصر ، ج 81 ، ص 107) . وفي هذه العبارة يجب احلال كلمة بنطلون Pantalon — محل كلمة كيلوت Culotte . راجع الصورة في كتاب وتمان (رحلات الى تركية الآسيوية وسورية ومصر ، ص 242) .

ويبدو ان بدو مصر لا يرتدون التبان ولا السروال ولا البنطلون ، لا رجالهم ولا نساؤهم .

ولنمض الان من مصر الى سورية .

يقول بلون في كتابه (ملاحظات ، ص 327) في الفصل الذي عقده حول مدينة الناصرة . « لا يلبس اهلها الذكور التبابين مطلقا ولا يستعملون الجوارب ولا يرتدون السراويل ، ولكن نساءها يرتدين هذه الملابس جميعها ، تماما كما يصنع الاتراك » .

ويؤكد روولف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات ص 49) : « ان سكان طرابلس الشرق يلبسون وبصورة خاصة في موسم الصيف ، سراويل من القطن واسعة فضفاضة بيضاء بياض الثلج ، وهي تتدلى حتى كعب القدم ، وانها محكمة الضيق من الاسفل وليست كذلك من الاعلى . وهي كذلك محرومة من الرافعات الخافضات ، لاستطاعة غسل الاعضاء الطبيعية (العورة) والاقدام بدون عائق ، اثناء التطهرات الشرعية اليومية ، التي يغسل القوم خلالها سواعدهم وايديهم فيما يغسلون » . وبعد ذلك (ص 50 ، 51) يقول هذا الرحالة عن نساء هذه المدينة ، انهن يرتدين سراويل واسعة شبيهة بسراويل الرجال . وهن يجعلنها طويلة بحيث انهن يدرجن ثيابهن في هذه السراويل من الاسفل احيانا . وتصنع عادة من النسيج الرقيق اللين . وتتالف بحلاوة واناقة من عدة الوان ، وقد طرزت اذيالها الجانبية بتطريزات بديعة » . ويذكر المؤلف نفسه اخيرا بعد ذلك (ص 133) وهو يصف زيه الذي تزيا به للسفر من حلب الى بغداد ، فيقول ان « بنطلونه من القطن الابيض الهابط الى كعب قدمه » .

ويقول داندیني (رحلة من جبل لبنان ، ص 46) عن رجال طرابلس : « انهم يسترون سيقانهم بالسراويل العريضة المصنوعة من القنب او من نسيج آخر ، وهي تتدلى حتى الاقدام » . وبعد ذلك (ص 48) : « وتستعمل النساء كذلك السراويل » . ويذكر دي برين ايضا (الرحلات ، ص 362 ، الخ) : « سراويل نساء حلب التيلية » . ولكنه يضيف قائلا : « على انهن يرتدين السراويل المصنوعة من اقمشة اخرى ، حسب متطلبات الموسم » . انظر هيئة هذا اللباس في الشكل المرقم 189 . ويقول دارفيو في مذكراته (ج 6 ، ص 425) بأن « نساء حلب يرتدين السراويل الطويلة كما يرتديها الرجال » . ويصف لايت في كتابه (رحلات الى مصر والنوبيا والارض المقدسة وجبل لبنان وقبرص ، ص) متحدثا عن

رحلته من يافا الى الرملة والى اورشليم ، ازياء البغالة المسمى واحدهم (مكاريا) (1) فيقول : « ان الشرويل Le sharweel او السروال ، الـ كيلوت La culotte واسع فضفاض ، وهو يتدلى حتى الركبتين ، وقد صنع من الجوخ الأخضر » .

ويقرر دارفيو فى كتابه (رحلة من فلسطين صوب الامير الاعظم ، ص 206) : « ان امراء وشيوخ البدو فى سورية يرتدون فى موسم الشتاء السراويل من التيل ، كما يرتدونها فى الصيف » . (المرجع السابق ص 208 ، انظر المرجع السالف ، ص 174) . « وللسيدات سراويل من الموصلي وهي مطرزة بالحرير من اطرافها وفى مواضع الخياطة » . (المرجع السابق ايضا) « ويرتدي سواد العرب سراويل من التيل » . (ص 211) .

اما عرب الطبقة الوسطى فى اليمن فيرتدون ، حسب رواية نيبور فى كتابه (وصف الجزيرة العربية، ص 58) ، سراويل واسعة . واما عرب الطبقة العليا فيرتدون السراويل ايضا (المرجع السابق ، ص 60). ويرتدي بعض سواد العرب السراويل كذلك . وتستعمل النساء فى المناطق الجبلية هذه السراويل كذلك (المرجع السابق ، ص 61) وسراويلهن مصنوعة من التيل الأزرق ببعض التطريزات الملونة .

ويخبرنا علي بيك فى كتابه (اسفار ، ج 2 ، ص 106) ان نساء مكة يرتدين « سراويلات هائلة ، تتدلى حتى بوابيجهن بل تدخل فيها ، او قد تندس فى خفافهن ، وهي مصنوعة من القطن المخطط المجلوب من الهند » . ويقول بركهارت فى كتابه (اسفار فى الجزيرة العربية ، ج 2 ، ص 339) : « ان لهن سراويل زرقاء ومخططة واسعة بافراط تصل حتى كعوب اقدامهن ، وهي من الاسفل مطرزة بالفضة » . وقد شاع استعمالها بصورة عامة حتى بين رجال مكة . (راجع علي بيك ، ج 2 ، ص 108 مع بركهارت ، ج 1 ، ص 336) .

واننا واجدون هذا اللباس فى الاقطار الشرقية فقد ذكر بكنكهام فى كتابه (رحلة الى بلاد الرافدين ، ج 1 ، ص 6) الشروال المصنوع من الجوخ الازرق ، Sherwal . (وتجدون ان هذا الرحالة يلفظ كلمة شروال بالشين كما يلفظها الكونت دى شابرول) . راجع بيترو دلا فاله (رحلة الى تركيا وفارس ، ج 1 ، ص 161) .

وقد انتشر استعمال هذا اللباس بصوره عامة فى الجزيرة وفى العراق العربي . اذ يعرض لنا رووولف فى كتابه (وصف حقيقي للرحلات ، ص 190) وصفا رائعا يبعث على التأمل حول رحلته الى مناطق الفرات. وبعد ان يتحدث عن مدينة Schara الصغيرة وقبل ان يتكلم عن عنه ، يصور لنا من يسميهم Moren الذين يقارنهم بمن يدعون Zigeuner (الغجر) . ولعلهم البدو ممن يعرفون ببني سعيد ، ما دام فريزر فى كتابه (رحلات الى كردستان وبلاد ما بين النهرين الخ ، ج 1 ، ص 366) يسميهم قبيلة بني سعيد Beni Saeed ، وهم العرب الذين يوجدون اكثر ما يوجدون فى الشمال على الفرات ، فى شيرين Shereen . ويقول رووولف بهذا الصدد : «ان الرجال لا يرتدون السراويل ، ولكن نساءهم وحدهن يرتدينها، وسراويل هؤلاء النسوان معظمها من اللون الازرق ، وهي تصل الى كعوب اقدامهن ، مثلهن مثل النساء التركيات » .

---

(1) تتواجد هذه الكلمة كثيرا لدى الرحالين . ونجدها محرفة الى Mucrelli فى قصة بومكاراتن فى كتابه (الزيارة ، ص 57) . وللمؤلف جان زوالار فى كتابه (الرحلة المثلى الى اورشليم ، ص 72 – 74) فصل تام عنوانه المكارون : Des Mouqueres ، حيث يقص علينا كيف يتحتم على زوار بيت المقدس التصرف مع هؤلاء الرجال . ويبدأ الفصل على هذا المنوال : « ان المكارين هم اولئك الذين يعلفون ويواجرون الحمير التي يمتطيها النصارى للتجول فى الحقول ، من مكان الى آخر ، وهم يقومون بخدمة ومتابعة هؤلاء الزوار ، كما يقوم بنفس العملية من نسميهم الفيتوريين فى ايطاليا Vetturins . ولكن المكارين اشد بربرية من اولئك الايطاليين ، اذ انهم رجال قساة ضعفاء المروءة : ومعظمهم يدعون انهم نصارى : ولكنهم من اولئك المارونيين المسيحيين ذوي الانطقة . وهم ليسوا الطف ولا ارق من العرب ، ولا تستطيع تمييزهم من العرب الا بقبعاتهم السوداء الموضوعة على رؤوسهم، وهذه القبعات غير مغطاة بقماش ابيض كقبعات المغاربة المحمديين ولا كقبعات العرب » .
ومن كلمة المكاري وضع البرتغاليون والاسبان كلمتهم المكرف : Almocreve .

وسأتحدث فى قابل الصفحات عن تعبير سراويل الفتوة . (انظر كلمة لباس) .

السقمان

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويحدثنا المقريزي فى كتابه (وصف مصر ، ج2 مخ 372 ، ص 350) ان الامراء والجنود والسلطان نفسه كانوا يلبسون ، ايام حكم السلالة التركية (الجركسية) فوق الخف ، السقمان (وفى ارجلهم من فوق الخف سقمان وهو خف ثان)

السلارى

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وكان السلارى او القباء السلارى (قباء الامير سلار) هو اللباس الذي كان يسمى فى غابر السنين (بغلطاق) . راجع هذه الكلمة .

السلطة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويرى لين فى كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 58) ان هذه الكلمة تشير الى سترة Jaquette تصنع عادة من الجوخ او من القطيفة ، وهي مطرزة على طراز تطريز الجبة ، ان النساء فى القاهرة يرتدينها فى غالب الاحيان بدل الجبة . ويكتبها فيسكيه (سلته) فى كتابه (رحلة الى الشرق، ص 41) ، ويشرح هذه الكلمة بأنها سترة فوقانية للرجال والنساء .

السليفة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقرر هوست فى كتابه (اخبار من مراكش ، ص 119) انها نوع زينة او اكليل للراس يشبه العذبة وتستعمله النساء فى مراكش . ويكتب كرابردى همسو الكلمة (سفيفه : Sfifs) فى كتابه (المرآة الخ — ص 80) . ولكن ربما كانت هذه الكلمة خطأ مطبعيا .

المسماة

هل تكون المسماة طماقا اى غطاء من لباد للساق والحذاء ؟ لاننا نقرا فى القاموس (طكلكتا ، ص 1895): « واستعمى الصائد لبس المسماة للجورب او استعارها لصيد الظباء فى الحر وطلبها فى غيرانها عند مطلع سهيل » .

السنتبر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويحدثنا دابر فى كتابه (وصف حقيقي لاقاليم افريقيا ، مج 1 ، ص 341) ان احد الخدام الذين رافقوا سفراء ملك فارس ومراكش ، والذين وجدوا عام1659 فى امستردام ، كان يرتدي « ثوبا مبطنا بالفرو ، مفتوحا من الجهة الامامية ومزودا بقبع كبوشي يتدلى على الظهر ، وله كمان مسدلان . ومن هذين الكمين تدخل الذراعان احيانا . ومن الاعلى الى الاسفل من الجانبين الامامين توجد قطع حمراء صغيرة ومستديرة مع شرائط مبرومة او قياطين فى الوسط تصلح لربط هذا الثوب ، وهم يشدون الاقسام العليا منها بصورة خاصة . وهذا الثوب يدعى لديهم sant à barre (سانتابار) كما يسمى كبوطا kabbout (راجع كلمة كبوط) ، وهو يرتدى فى اغلب الاحيان من قبل البحارة وخصوصا فى الشتاء . والحقيقة انه لباس مريح ملائم لاولئك الذين يتحتم عليهم ان يعملوا ، ذلك لانهم يخلعونه ويلبسونه بيسر وبسهولة » .

وانني اعتقد ان هذه الكلمة اسبانية الاصل ، ولكن حتى يومنا هذا لم استطع اكتشاف الكلمة الاسبانية التي شملها الافساد والتحريف فتحولت الى (سانتابار sant à barre) .

السياج

هذه الكلمة حسب مذهب القاموس (طكلكتا ، ص 240) هي الطيلسان الاخضر او الاسود (الطيلسان الاخضر والاسود) (1) .

(1) قال المؤلف فى ترجمة هذا النص : الاخضر او الاسود (المترجم) .

السيقـــان

ان هذه الكلمة ، وهي جمع ساق ، تشير بصورة خاصة الى (السيقان) ، ولكن يجب اضافة الى القاموس ان تؤخذ كذلك بمعنى السروال الواسع بافراط . ويترجم بيدرو دى الكالا (Pedro de Alcala) في كتابه (مفردات اسبانية عربية) (vocabulario Español-Arabigo) كلمة ساهون (çahon) بكلمة سيقان ، واعتقد ان الكلمة الاسبانية ساهون ليست سوى تحريف للكلمة العربية سيقان ، ويبدو ان العلماء الاسبان في عهد كوبارو فياس (Cobarru vias) قد حكموا نفس هذا الحكم ، وعلى كل حال ، فان هذا اللغوي يؤكد ان كلمة ساهون هي عربية الاصل .

الشامـــي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعنى المراد.

في كتابه (اسفار (Lyon) ويقرر القبطان ليون في افريقيا الشمالية، ص 117) .
(Travels in Northern Africa)

« ان النساء في مرزوق يرتدين اقمصة من الحرير المخطط الذي يطلقن عليه اسم الشامي . ويضيف هذا الرحالة ان الناس في هذه المدينة يرتدون هذه الاقمصة المصرية ، ولكن ، لما كانت كلمة شامي تعبر عما هو وارد من سورية ، فانني اعتقد ان هذه الانواع من القمصان مصنوعة في سورية ، وانها تعبر هذا القطر الى مصر ، وان سكان مرزوق يظنونها صناعة مصرية ، ذلك لانهم يبتاعونها من تجار مصر . ويخيل الي ان الناس قديما كانوا يقولون (قميص شامي) ، ولكن غبرت ازمان فغبر معها اسم قميص وظل اسم شامي باقيا ليعرب عن القميص الحريري المخطط .

الشايـــة وجمعهـــا الشيـــات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وقد استعار عرب الاندلس هذه الكلمة من جيرانهم المسيحيين . استعاروها من الكلمة الاسبانية سايا وسايو (اعتبرهما المؤلف كلمة واحدة فجاريناه ـ المترجم) .

التي هي كما تعلمون ، مشتقة بدورها من الكلمة اللاتينية ساكوم Sagum . ويترجم بيدرو دى الكالا في كتابه (مفردات اسبانية ـ عربية) كلمات Sayo de muger بكلمة شاية ، وجمعها شايات ، ويترجم على نفس النمط كلمات Sayo de paron ونحن نعلم ان كلمة Sayo تشير الى عباءة واسعة لا ازرار لها ، ويرتديها القرويون الاسبان » . اما Saya فهي تنورة امراة (1) .

ونحن نقرأ في الاحاطة لابن الخطيب (مخ دى كايانكوس ، ص 178) ، عن حياة محمد الاول ، ملك غرناطة : « وحدث ابو محمد البسطي . قال : « عاينته يوم دخوله وعليه شاية ملف مضلعة اكتافها مخرقة » . وان كلمة مضلع ، الواردة في هذا النص ، تؤخذ على ان لها معاني متعددة ، كما بمقدورنا ان نرى مصداق ذلك في القاموس ، لدى كلمة مضلع . راجع حول كلمة ملف الصفحة 112 من هذا الكتاب ، موضوع الجبة .

وقد دخلت كلمة Sayo كذلك الى لغة المندنكو . وهذا الشعب يلفظها Saio . (راجع مكبرير في كتابه (قواعد اللغة المندنكية ، ص 42) (2) .

الشد وجمعه الشدود

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس ـ بالمعاني المنشودة .

ويرى دابر (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ـ مج 1 ، ص 240) ان كلمة Sjed او Sied تشير الى قطعة قماش من القطن الرقيق التي يلف بها الراس والتي تستعمل لتاليف العمامة . ويؤكد هوست في كتابه (اخبار من مراكش ـ ص 114) كذلك ان كلمة شد تدل على ما يشير الى العمامة ـ ومعنى ذلك قطعة من الموصلى ـ او من قماش ابيض رقيق آخر ـ يسطح ويرقق فيتخذ منه الناس عدة لفات فنية تسوى فوق العرقية الحمراء (شاشية) . ويبلغ سعرها خمسة ماركات وقد يصل احيانا الى خمسة دوكات » . ويقول هوست ان هذا التاج لا يرتدى الا

---

(1) كلمة صاية دارجة في اللغة العراقية الدارجة .
(2) لغة شعب مالي ؟ (المترجم) .

من قبل الاشراف والحجاج (زوار مكة) والقضاة والرؤساء وطلاب العلم والفقهاء (1) . ويقول مارمول في كتابه (وصف افريقيا – ج 2 ، ص 102 ، مج 3) عن سكان فاس : « لبعضهم عادة الاعتمار بالقلانس (Tocas) الرقيقة البيضاء – وهي مقدرة لديهم كل التقدير – وهم يسمونها (تونسي (Tunecis ويلفونها ست او سبع لفات حول الراس (2) .

وكلمة شد لها نفس المعنى في مصر – كما اثبت ذلك كاترمير بالاستناد الى نص لابن اياس (تاريخ السلاطين المماليك – ج 1 – ق 1 – ص 150) . والشد يشير كذلك في هذا القطر الى : حزام من القطن الابيض البعلبكي (الشد البعلبكي – المرجع السابق) . ولكلمة شد معنى آخر ايضا – فهي تشير الى قطعة قماش تلف بها الرقبة وقاية لها من البرد او الحر – فهي بمثابة رباط Cravate فنحن نقرأ في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ص 409) : « البسه قميصا رفيعا وثوبا من ثيابه وعمامة لطيفة وحزاما رفيعا ولف له شدا على رقبته» . ونلاحظ هنا بسهولة ان المسألة ليست مسألة عمامة: ذلك لان العمامة قد ذكرت باسمها – ثم ان العمامة لا تلف حول العنق – الا لاظهار الخضوع والطاعة والاستسلام – وعلى ذلك فان هذا الشاب اليافع موضوع بحث نصنا لم يكن ليحمله اى شيء على اظهار هذه الحالة . واخيرا فان هذا المعنى الذي اعزوه في هذا الموضع الى كلمة شد قد ثبت بالبرهان – كما يبدو لي – وذلك بتوافر العدد الكبير من نصوص الرحالين الاوربيين . فنحن نقرأ لدى كوتو فيك في قصته (رحلة – ص 485) : « كانوا اثناء السفر يحيطون رقابهم بقطع من القماش او بالمناديل (Linteola vel sudario) حماية لانفسهم من لفح الشمس » . ونقرأ في الكتاب المعنون (قصة رحلة في مطلع عام 1210 – ص 209) : « يلفون مناشف من التيل حول اعناقهم » . ويعبر روجيه عن الموضوع في كتابه (الارض المقدسة – ص 204) بهذه الكلمات: « يضعون تحت العمامة وفوق رؤوسهم خمارا واسعا من الحرير الاسود – ويلفون به العنق عدة لفات فيتدلى حتى الاكتاف» . (راجع الشكل 1 – ص 206).

ويقول بوكوك في كتابه (وصف الشرق – ج 1 ، ص 327) : « ان شعب مصر يلف حول رقبته قطعة قماش زرقاء اللون تكون مفرطة في السعة احيانا . وهو يغطي بها الراس ايضا – وقاية من البرد ومن اشعة الشمس » .

ونجد في كتاب لين (المصريون المحدثون – ج 1 ، ص 41) : « وفي الشتاء يضع كثير من الناس حول رؤوسهم واكتافهم شالات من الموصلي او من قماش آخر – شبيه بالنسيج الذي يستعملونه لتكوير العمائم » .

المشدة

ذكر فريتاك (المشدة هي التاج – اذا صحت قراءة نص « تحفة الاخوان ») . ولعل كلمة مشد تشير كل الاشارة الى تكويرة راس شبيهة بالعمامة او بالاحرى شبيهة بالشد . وعلى اقل تقدير فان الكلمة موجودة في اللغة العربية للدلالة على : طرحة مشدودة حول رقبة الحصان . (المقريزي – تاريخ السلاطين المماليك – ج 1 – ق 1 – ص 150 .

الشوذر

اننا نقرأ لدى الجوهري (ج : – مخ 85 – ص 309) : « الشوذر الملحفة . وهو معرب . واصله بالفارسية جاذر » (كذا) . كما نطالع في القاموس (طكنكتا – ص 562) : « الملحفة معرب » . والحقيقة ان الشوذر هو الكلمة الفارسية جاذر – وهذا اللباس يماثل كل المماثلة – من حيث الهيئة – الرداء الواسع او خمار المراة – وهو ما نسميه بالملحفة . والشوذر او الجاذر مستعمل في العراق العربي وفي فارس . فنحن نقرأ في القصة المكتوبة باللغة الاسبانية – لمؤلفها البرتغالي الرحالة Teixeira تيخيرا (رحلات من الهند الشرقية الى ايطاليا – ص 121) : « ان جميع النساء الدارجات في الدروب والازقة (جميع نساء بغداد) مستورات بقطع من القماش تشابه الارز (Como mantos) ويدعى احدها Chaudel

(1) تشير كلمة رئيس الى ربان السفينة . راجع كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن – ج 1 ، ص 93 – 95– الخ . ونحن نصادف هذه الكلمة بهذا المعنى في كافة قصص الرحالين تقريبا – هؤلاء الرحالة الذين زاروا الشرق في مختلف العهود – ومع هذا فان هذا المعنى لم يرد له ذكر في القاموس .

(2) تونسي (نسبة الى تونس . راجع كلمة دراعة – التعليق 2) .

ومع ذلك فان لون هذا الازار ليس اسود » . (كما هو في اسبانيا والبرتغال) . وفي قصة بيترو دلا فاله – ص 752) نقرا عن بغداد : « وختاما فان الازر التي تستتر بها النساء لدى خروجهن من منازلهن تختلف كل الاختلاف عن بقية اجزاء الملابس الاخرى وعن الازر التي رايتها حتى الان : ذلك لان هذه ليست ثيابا من الجوخ – كما هي في القسطنطينية (فراجه) – ولا هي قطع من التيل الابيض – كتلك الموجودة في سورية ومصر (ازار) : ولكن النساء يرتدين بعض القطع المنسوجة من التيل الحاوي على مربعات بيض وزرق – كتلك الملاحف التي ترتديها نفس الطبقة في القاهرة (ملاية – ملاءة) – اما نساء الطبقة الاعلى فيرتدين الاقمشة الحريرية من نفس اللون . وهذه الملابس غاية في الرقة والنعومة والسعة والفضفضة – نظرا للحرارة اللاهبة التي تخيم على هذا القطر . واخيرا فان نساء الطبقة العليا يلبسن – كما تلبس زوجتي الحسناء معاني (Maāni) نفس الاقمشة التي هي احادية اللون – فهي اما بنفسجية خالصة – او زرقاء عاتكة – مع بعض الشرائط حول الحواشي التي تكون من لون مغاير . وهذا اللون داكن ايضا . وهي تشبه كل الشبه الازار الذي ترسم به سيدتنا مريم العذراء Notre Dame » . ونحن نطالع في قصة الاب باسيفيك (رحلة من فارس – ص 412) قوله : « اما اللباس فهو متماثل من الجهة المظهرانية لدى جميع النساء الفارسيات) فهن لا يملكن الا كفنا واسعا ابيض اللون يسترهن سترا شاملا – من الراس الى اخمص القدمين » . ونجد في رحلة اولياريوس (رحلة الى موسكوفيا وبلاد التتر وفارس – ص 819) : « ان النساء (في فارس) لا يسفرن مطلقا عن وجوههن لدى سيرهن في الدروب والازقة – ولكنهن يكن مستورات تحت ازر بيض تصل الى سيقانهن – وهن لا يفتحن منها الا ثقوبا صغيرة في مواضع العيون – وذلك بغية القدرة على المشي . وطالما تغنى شعراء الفرس بهذا الازار قائلين بأن اجساما لدنة غضة بضة كثيرا ما اخفت نفوسا خبيثة شريرة وان تحت مظهر الحياة الصالحة طالما قبع عدد هائل من امهات الرذائل – وقد يستر هذا الازار الابيض في احايين كثيرة – تحت ازياء هي غاية في الروعة والبهاء – امراة هي غاية في القباحة والدمامة » . ونقرا في كتاب تيفنو (تتمة رحلة من المشرق – ص 177) : « اذا طوفت النساء الفارسيات في دروب المدينة فانهن غنيات كن او فقيرات يرتدين ازارا هائلا بل كفنا من التيل الابيض – هو غاية في الرقة والنعومة – ولكن نصفه يعصب جبين المراة حتى عينيها – ويدور فوق الراس – ويصل حتى اخمصيها – اما النصف الآخر فيعصب وجه المراة – تحت العينين ويرتبط بدبوس على الجهة اليسرى من الراس – ويسقط حتى يصل الى نعليها – ويغطي حتى يديها اللتين تمسك بهما جانبي هذا الشراع – بحيث ان المراة تتكيس فيه بتمامها حاشا عينيها » .

ونقرا في كتاب اوليفييه (رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس – ص 262 و ج 5) : « تدفن المراة الفارسية نفسها لدى خروجها من بيتها في ازار واسع من النسيج الموصلي او من قماش قطني اقل رقة ونعومة . اما نساء الشعب فيستعملن قماشا من القطن الملون » .

ويؤكد كيربورتر في كتابه (رحلات الى جورجيا وفارس وارمينيا وبابل القديمة – ج 1 – ص 132 – الخ) « نرى النساء (الفارسيات) حين يبرزن من مكامنهن – انهن يمشين مترنحات الخطى – ملفوفات من رؤوسهن الى اقدامهن في شراع آسيوي واسع يدعى بالجادر Chadro » . » .

ويقول المرجع نفسه بعد ذلك : « لدى ذهابي الى القلعة وعند ولوجي في السوق – شهدت بضع نسوة من مختلف الطبقات يمضين لاستنشاق الهواء في كنف الجادر الذي لا يستطيع اختراقه مخترق – ولم يكن سهلا على احد اكتشاف ما اذا كان هذا الكن قد حجب ثروة باذخة ام فقرا مدقعا » . راجع (امراة فارسية مغلفة بجادرها – ج 1 – ص 354) . وفي موضع آخر (ج 1 – ص 208) في معرض وصف ينكشاه (بين اريفان وتكشيفان) : « انهن يلففن اجسامهن بالجادر الذي هو غطاء من القطن الابيض – او من المربعات الزرق والبيض الذي يحيط بهن كما يحيط الكفن بالميت » . واخيرا (ج2 – ص 368) : « ان الجنس اللطيف كله في مدينة بغداد – النساء الغنيات والنساء الفقيرات – يخرجن من منازلهن مرتديات الجادر ذا المربعات الزرق والبيض : في حين ان هذا النسيج باحاطته للجسم لا يترك مجالا للدلالة على اصل المراة العريق التي ترتديه – اللهم الا قطعة من الذهب – مكفتة في احدى حواشيه تومىء ايماء الى نبل محتدها » .

ونطالع في كتاب بكنكهام (رحلات الى بلاد ما بين النهرين – ص 195 – ج 2) : « ان ازياء نساء مدينة بغداد هي كذلك بسيطة بساطة الازياء التي تستعملها

افقر نساء قرى بلاد ما بين النهرين ـ ذلك لان نساء مختلف الطبقات يشتملن بقطع من التيل تحتوي على مربعات زرق وبيض تشبه تلك القطع التي ترتديهـا نساء افقر الطبقات فى مصر (ملاية ـ ملاءة) . ويؤكد فريزر (رحلات الى كردستان وبلاد ما بين النهرين ـ ج 1 ـ ص 119) انه لم يكن فى مقدوره رؤية النساء الكرديات لانهن ـ كما يقول : « لا يظهرن الا على هيئة اكوام من الجوادر او الاغطية الزرق ذات المربعـات البيض والزرق » . ويقول المؤلف نفسه فى موضـع آخر من كتابه (ج 1 ـ ص 378) فى معرض وصفه لبغداد : « ان اغطية النساء الهائلة المصنوعة من التيل الازرق الغامق او من اللونين الازرق والابيض ـ التي تغطي الجسم من الراس الى القدمين ـ تخفـي فى الحقيقة الخصر والقامة والحلة » .

والشعراء والكتاب الفرس يذكرون الجـادر فى مجازاتهم واستعاراتهم وامثالهم ـ ويسرفـون فى التعريض به ويرى القامـوس (ص 562) ان كلمـة شوذر تشير كذلك الى اللباس المشار اليه بكلمة اتب.

الشربيـة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي كما يذهب اليه دونباى فى كتابه (النحـو المغربي ـ ص 82) عصابة تشدها النساء فى المغرب حول الراس . Strophium capitis .

الشربوش وجمعه الشرابيش والشرابيش

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وقد سبق لكاترمير فى كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ص 245) ان استعار ، من نـص للمقريزي ، الكلمات الجوهرية ، التي تعيننـا بصورة خاصة على فهم هذه الكلمة . واؤمل الا تتضايقوا من ادراج هذا النص بتمامه هنا . فدونكم النص (مخ 372 ، ج 2 ، ص 351) : « واما الخلع فان السلطان كان اذا امر احدا من الاتراك البسه الشربوش . وهو شيء يشبه التاج كانه شكل مثلث يجعل على الراس بغير عمامة ويلبس معه على قدر رتبتـه اما ثـوب نـخ (1) او طرد وحش او غيره . فعرف هذا السوق بالشرابشيين نسبة الى الشرابيش المذكورة . وقد بطل الشربوش فى الدولة الجركسية . وكان بهـذا السوق عدة تجار لشراء التشاريـف والخـلع (2) وبيعها على السلطان فى ديوان الخاص وعلى الامراء . وينال الناس من ذلك ويقتنـون بالمتجـر فى هـذا الصنف سعادات طائلة (3) . فلما كانت هذه الحوادث

---

(1) تشير كلمة نخ الى نسيج من الحرير المذهب . فنحن نقرا فى رحلة ابن بطوطة (مخدى كايانكوس، ص 129) : ولم يبعث الي الا ثوبا واحدا من الحرير المذهب يسمونه النخ بفتح النون وخاء معجـم . وفى موضع آخر (مخ . ص 141) يقول هذا المؤلف ، متحدثا عن جواري الخاتون لـدى بلغـار الفولغا : وعلى كل واحدة ثوب حرير مذهـب يسمى النخ . ونقرا بعد ذلك (ص 149) : علـى الخاتون حلة يقال لها النخ ويقال لها ايضـا الشيخ مرصعة بالجواهر . وعلى راسها تاج مرصع. وتصنع هذه الثياب فى مدينة نيسابور ، لان ابن بطوطة يؤكـد (مـخ . ص 167) ما يلـي : « ويصنع بنيسابور ثياب الحريـر من النـخ والكمخا وغيرها وتحمل منها الى الهند » .

(2) وفى المخطوطة ب (مخ 276 ، ص 566) يرد هذا الكلام : وكان بهذا السوق عـدة تجار لشـراء الشرابيش وقيل لشراء التشاريف والخلع .

(3) لا وجود لكلمة طائل بهذ المعنى فى القاموس . ونحن نقرا لدى ابن بطوطة (الرحالة ، مخ دي كايانكوس ص 194) :اعطاه اموالا طائلة . ونطالع فى مكان آخر (ص 237) : صاحب الاموال الطائلة . ونجد لدى المراكشي (المعجب ، مخ 546 ، ص 258): ما يعدل اموالا طائلة . واعتقد ان كلمـة سعـادة موجودة بنفس المعنى فى هذا النص من كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتـن ، ص 246 ، ج 1) ونقرا فى تاريخ اليمن (مخ 477 ، ص 3) : شمائله سعادات الدولة العثمانية . وفى كتاب سير الاعيان للذهبي (مخ 320 (2) ص 257) : ونال سلار من سعادة الدنيا ما لا يوصف .
وينبغي ان يعني تعبير اهل السعادة لدى المسلمين (اهل السعادة) : ونجد فى كتاب الف ليلـة وليلة (ط مكناكتن ، ج 2 ص 35) هذا التعبير : صارت من اهل السعادة ـ والحديث يخص امراة اعتنقت الاسـلام .
وقد رايتم ورود (دار السعادة) فى مدخـل الكتاب .

منع الناس من بيع هذا الصنف الا للسلطان . وصار يجلس به قوم من عمال ناظر الخاص لشراء سائر ما يحتاج اليه . ومن اشترى من ذلك شيئا سوى عمال السلطان فله من العقاب ما قدر عليه . والامر على هذا في يومنا الذي نحن فيه .

وكان الشربوش العمرة المميزة للامراء ، ولم يكن يلبس من قبل الفقهاء (راجع نص جمال الدين بن واصل ، الذي ذكره كاترمير . (الكتاب القيم ، ص 244 وق 1 وج 1 الخ ...

ويذكر مؤرخو مصر بصورة متصلة هذا النوع من عمرة الراس . فنحن نقرا مثلا لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 19 ب ، ص 132) : « وركب الامراء ـ بالتشاريف والشرابيش على عادة امثالهم » . وفي موضع آخر (مخ 2 م ، ص 215) : انعم على الامير سيف الدين قلاوون بتشريف كامل بشربوش كان قد لبسه ثم خلعه عليه » .

وهذه العمرة كانت كذلك شائعة الاستعمال في البلاد الشرقية الاناى ، في بغداد مثلا ، ذلك لاننا نقرا لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 م ، ص 49) : « ان الملك الناصر داود ، يوم كان في بغداد عام 633 شمله التشريف فـ (خلع عليه قباء اطلس وشربوش) .

وقد استعارت احدى مدارس دمشق كما يظهر اسمها من هذا التاج ، لاننى على اقل تقدير اطالع لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كاياتكوس ، ص 39) : فنزلت منها بمدرسة المالكية المعروفة بالشرابشية .

وقد عبرت كلمة شربوش الى اللغة السريانية (راجع الحوليات لابن العبري ، ص 313 و ج 1 : Bar-Hebraeus, Chronicon Syriacum, tom. I, pag. 313).

ولن نستطيع العثور على هذه الكلمة في القواميس السريانية ، كما اننا لن نعثر على كلمة شربوش في المعاجم العربية .

والخلاصة ان كلمة شربوش ادنى كثيرا انى كلمة سربوش الفارسية من كلمة شربوش اليها ، التى يقول عنها كاترمير : « ان هذه الكلمة العربية تحريف للكلمة الفارسية » .

ولست مرتابا من صحة هذا المذهب ، ولكن يجب علي ان الفت الانظار الى ان الكلمة الفارسية سربوش) حسب علمي ، لا تشير الى عمرة راس رجل ، وانما تدل فقط على اكليل راس امراة .

وكانت هذه العمرة Coiffure معروفة الاستعمال في القسطنطينية ، وفي ازمير وفي مدن اخرى ، ايام بريـن Bruyn فهذا الرحالة يكتب الكلمة هكذا Carpous (كربوس) ، واعتقد بوجوب لفظها بعد اضافة السيي cédille ç الى الحرف (ç) فيلفظ هذا الحرف بصوت السين ، وليس بصوت الكاف ، فتنطق الكلمة على هذا المنوال (شربوس) çarpous) . راجع (الرحلات ص 35 ، 58 ، 59 ، الخ ، الرسم المرقم 18) .

الشربيل ، الزربول ، الزربون

لا وجود لكلمة شربيل وكلمة زربون في القاموس . وانني لاجهل تمام الجهل اين وجد سيلفستر دي ساي ـ راجع كتابه الموسوم : (طرائف عربية ، ج : ، ص 146) ان كلمة زربول ، تعني في الشرق : انعلة ومداسات قديمة ، الامر الذى هو غير مقبول على الاطلاق .

يقول دييكو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر ، مج 4 ص 27) وهو يتحدث عن نساء مدينة الجزائر : « بعضهن (لا سيما النساء المغربيات) يلبسن نوعا من المداس Pantoufles (Unas servillas) على الطريقة المغربية ، وهي مصنوعة من الجند الملون بلطافة واناقة ، وهن يسمينها Xerecuilla ونحن نقرا في كتاب هوست (اخبار من مراكش ، ص 117) « جميعهم يلبسون احذية مصنوعة من الجلد المراكشي تدعى باسم Scherbil شربيل . وتكون احذية الرجال صفراء ، واما احذية النساء فحمراء . كما نعلم ان مداسات هؤلاء واولئك لا كعوب لها » . وفي قائمة الكلمات العربية التى انشاها بريتنباك في كتابه (وصف رحلات وزيارات ، ص 115) وهو الرحالة الذى زار الشرق عام 1483 ، نجد ان كلمة Serbul مفسرة بكلمة Schuh (مداس) .

ويقول : D. Germano de Silesia (pag. 905) الذى سبق لهابيخت ان ذكره في مسرد الجزء الثالث من طبعته لكتاب الف ليلة وليلة ، ان كلمة زربول وجمعها زرابيل ، هي مداس مزود بكعب : « scarpa con tallone ; calceus cum talo »

وما لم يثبت مثبت العكس، فانني اشعر بكوني مرغما على الاعتقاد بأن الزربول وكذلك الشربيل لا كعوب لهما . وقد نعثر احيانا على صيغة زربون فى كتاب الف ليلة وليلة ، اذ نجد هذه الكلمة مرتين فى الجزء الاول من طبعة مكناكتن . وقد تفضل اماري فاعلمني ان كلمة سربون Sarbon وجمعها سرابين Sraben ما زالت مستعملة حتى ايامنا هذه فى مالطة .

واعتقد ان كلمة شربيل مماثلة للتعبير الاسباني Servilla الذى يشير الى مداس مصنوع من الجلد المراكشي ليس له سوى نعل واحد ، والكلمة مشتقة من Serva (Sierva) ذلك لان الخوادم والجواري كن يلبسن هذا النوع من المداسات . ومن كلمة سربيل تألفت ، حسب رايي ، كلمة زربول ، فان حاول الزاي محل الشين ليس فيه ما يدعو الى الدهشة والعجب ، وستذكرون ان (و) و (ي) فى الشعر العربي يجيئان فى قافية واحدة ، كما هو الامر فى الشعر الالماني . فمن كلمة زربول تألفت كلمة زربون بابدال اللام بالنون ، وهما حرفان من نفس الصنف . وقد قلت ان كلمة Servilla مشتقة من كلمة : Servante Serva (خادمة ــ امة ــ جارية) .

وهناك مسألة تدعو الى الملاحظة وامعان النظر وهي اننا نقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 2 ، ص 25) : جعله فى رجليه زربونا على عادة المماليك (Siervos) بالاضافة الى اننا نطالع فى هذا النص ان كلمة زربون مستعملة استعمال اسم جنس جمعي فى كتاب الف ليلة وليلة للاشارة الى فردتين من الزربون . وقد لاحظت آنفا نفس الملاحظة حول كلمة خف (1) .

الشطفة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقرر بركهارت فى كتابه (ملاحظات على البدو والوهابيين ــ ص 27) ان « بعض ابناء عنزه يشدون حول رؤوسهم طرحات يسمونها شطفات ومفردها : شطفة » . Shutfe .

الشعرية

نرى من قاموس فريتاك ان ريسكه قد علق على هامش كوليوس بأن هذه الكلمة تشير الى : « Vitta, quâ caput tegitus » وهذا التفسير خاطيء . فان كلمة شعرية تدل على خمار قصير مصنوع من شعر الخيل ــ كما يدل عليه اشتقاق الكلمة ــ فان الشعرية مشتقة من الشعر Crines . ونحن نقرا فى قصة روجيه (الارض المقدسة ــ ص 260) : « وهن يغطين عيونهن بنقاب من شعر الخيل الاسود ــ ويسمين هذا البرقع شعرية Chaarie . ومن خلال هذا الحجاب ينظرن ليستطعن ان يدرجن ــ ولا يجرؤن على كشف وجوههن اذا اردن التحدث الى رجل كائنا من كان » . وفى قصة بلون (ملاحظات ، ص 233 ــ 234) : « ولكن نساء المدن الكبرى (فى مصر) يتبعن الطريقة التى تعلمنها من النساء التركيات ــ اللواتي يضعن على وجوههن برقعا صغيرا معمولا من نسيج شعر ذيول الخيل » .

وليس هناك من علة تدعوني الى الشك فى حقيقة ما يرويه بلون هنا ــ بل انني ميال كل الميل الى الاعتقاد بأن استعمال الشعرية فى مصر لا يرقى تاريخه الا الى تاريخ غزو هذا القطر من جانب السلطان سليم ــ لانني لم اجد كلمة شعرية لدى مؤلف عربي قد كتب فى فترة ابعد من الفترة التى نشر خلالها كتاب الف ليلة وليلة . وهذه المناسبة دليل اضافي آخر ــ اذا كانت ما تزال هناك حاجة للاثبات بعد التنقيبات الحديثة ــ للبرهنة على ان كتاب الف ليلة وليلة قد دبج بعد اجتياح الاتراك لمصر .

وكانت الشعرية فى مصر برقعا صغيرا قصيرا لم يكن ليستر الا العينين ــ وكان يلبس فوق النقاب . وهو حجاب اكبر اكبر يغطي الوجه ــ محدثة فيه ثقوبا لدى موضع العينين . ونقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط . هابيخت ــ ج 2 ــ ص 146) : «فشالت الشعرية فنظرت الى احداق سود عظيمة». ونطالع بعد ذلك فى نفس القصة (ج 2 ، ص 149) : « وشالت النقاب فنظرت نظرة اعقبتني حسرة » . ويقول بعض الرحالين ــ وهم اقل دقة من روجيه ــ

---

(1) يقول كوباروفياس (الكنز ، مدريد ، 1611) حول كلمة Servillas «مداس مريح ، له نعل يصلح للبنات والخدم ، وقد تسمى باسم لسهولة المشي به ، مثل القباقيب . الخوادم ، لانهن يلبسن هذا المداس الخفيف

ان هذا البرقع يغطي الوجه . ونقرأ في قصة هيلفريش (تقرير مختصر واقعي للرحلات ـ ص 393) : « وهن (نساء القاهرة) يغطين وجوههن (Jr Angesicht) بقطعة من النسيج الأسود المخرم « Mit einem schwartzen gewirckten Thuchlein المصنوع من وبر البعير (Camelszhaaren) الذي من خلاله يستطعن رؤية كل الناس » . ونقرأ في كتاب مارمول (وصف افريقيا ـ ج 3 ، ص 112 ، مج 3): ويضعن على وجوههن (Delante del rostro) (نساء القاهرة) براقع سودا ـ معمولة من شعر الخيل » . ويقول كوتوفيك في رحلته (ص 488) وهو ادق من سلفه ـ بأن « النساء يغطين عيونهن (Oculi) ببرقع صغير ـ على هيئة شبكة مشغولة من شعر ذيول الخيل الدقيق الناعم » . وكانت الشعرية ما تزال مستعملة في القاهرة في زمان بوكوك (وصف الشرق ـ تع 4 ، ص 330 ـ ج 1) وبوسعنا رؤية شكل هذا الحجاب في اللوحة (59 ـ الصورة 1) . ويقول بوكوك ان هذا الحجاب معمول من شعر الخيل الاسود ومحبوك حبكا فنيا . ولكن منذ تلك الفترة حل البرقع محل الشعرية والنقاب ـ وفي ايامنا هذه يكاد الناس في مصر يجهلون جهلا تاما الشعرية والنقاب ... وقد رأينا آنفا عن طريق نص روجيه بأن الشعرية كانت مستعملة في سورية . وهذه الحقيقة قد تأيدت بشهادة روولف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات ـ ص 51) اذ يؤكد بأن النساء في طرابلس الشرق يغطين اوجههن بقطع نسيج سوداء « Schwartzen gewürcken » بعضها في غاية الرقة والنعومة ـ وبعضها مشغول من الحرير ـ ولكن بعض النساء يلبسن البراقع المعمولة من شعر الخيل ـ وهذه البراقع تلبسها نساء الطبقات الدنيا » . ولم تعد الشعرية في يومنا هذا تلبس في سورية ـ اذ هجرت هنا كما هجرت في مصر . ومع ذلك فان الشعرية ما زالت شائعة الاستعمال في الاقطار الشرقية النائية ـ كالجزيرة والعراق العربي . ويقول اوليفييه في كتابه (رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس ، ج 4 ، ص 220) في معرض حديثه عن نساء اورفه : « ويلبسن علاوة على ذلك قطعة مربعة من شعر الخيل الاسود تنساب على الوجه فتسمح لهن بأن يرين دون ان يراهن أحد » . واني اعتقد والحالة هذه بتوهم بكنكهام (رحلة الى بلاد ما بين النهرين ـ ج 1 ، ص 152) حين قال عن نساء اورفه : « انهن يلبسن للتبرقع شفا اسود غليظا ناتئا عن الوجه بعقدتين». واظن وجوب احلال برقع من شعر الخيل بدل شف اسود غليظ . وعدا ذلك فان وصف بكنكهام يطابق كل المطابقة هيئة هذا البرقع ـ كما نستطيع رؤية الحقيقة في لوحة بوكوك . ويقول كير بورتر في كتابه (رحلات الى جورجيا وفارس وارمينيا وبابل القديمة ـ الخ ـ ج 2 ، ص 269) في معرض حديثه عن نساء بغداد : « ان هؤلاء السيدات يخفين وجوههن وراء اقنعة اكثر بشاعة وشناعة من براقع الفارسيات البيض التي تشابه المناشف والمناديل والفوط ـ اعني بذلك هذه الحجب السود المصنوعة من شعر الخيل المرزوءة بها وجوه نساء بغداد » .

ويقول كذلك فريزر في كتابه (رحلة الى كردستان وبلاد ما بين النهرين ـ الخ .. ج 1 ، ص 278) وهو يتحدث عن نساء بغداد : « ان البراقع المعمولة من شعر الخيل الاسود ـ المنسوجة نسجا ناعما رقيقا ـ تحمي كل الحماية وجود النساء اللواتي يلبسنها من نظرات السابلة ـ وفي الوقت نفسه بوسع هؤلاء النسوة ان يرين بصورة عجيبة كل ما يخطر امام عيونهن ». لهذا كله اميل الى الاعتقاد بأن بكنكهام (ج 2 ، ص 195) قد توهم كذلك حين قال عن نساء بغداد انهن يغطين وجوههن بقطع من الشف الاسود الغليظ » . وهو يضيف الى ذلك قائلا : « لا تلبس نساء الريف المحيط ببغداد هذه الشفوف مطلقا » .

المشلـــخ

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويقول بركهارت في كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين ـ ص 27) : « في شمال سورية ـ كل معطف صوفي ـ سواء كان ابيض او اسود او مخططا بخطوط بيض وسمر او بخطوط بيض وزرق ـ يدعى مشلخا Meshlakh » وكلمة مشلخ موجودة كذلك بهذه الصيغة في قائمة الكلمات العربية ـ في ختام الجزء . ولكننا في موضع آخر (ص 131) نجد كلمة Meshlab مشلح .

المشـــمـــذ

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 441) هذه الكلمة بكلمة عمامة Turban .

التشمير وجمعها التشامير

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويترجم بيدرو دي الكالا هذه الكلمة بالكلمة الاسبانية بالتوك Paletoque فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) . وهذه الكلمة مفسرة فى كتاب (كنز اللغات الثلاث ، جنيف 1609) بـ :

Une casaque ou saye, un palletoc, une iacquette

بوصفها : «سترة ، او صاية ، او جاكتة» .

والحقيقة ان مؤلف كتاب

L'Histoire des Abdolwadites

يقول فى معرض حديثه عن طحان : « وهو لابس تشامير » .

الشمريـــر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ونحن نعلم ان القبعة (البرنيطة ، الخوذة : Chapeau) لم تكن معروفة قديما لدى المسلمين ، لذلك كانوا مرغمين على استعارة احدى الكلمات ، للاشارة الى هذا الشيء ، والمستعار منه احدى اللغات الاوروبية ، فاتخذ المغاربة الكلمة الاسبانية Sombrero . وهذا ما يؤكده هوست فى كتابه (اخبار من مراكش ، ص 114) . ولكن يبدو من قائمة الملابس التى انشأها دونباي فى كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 82) ان الشعب قد مسخ كلمة Sombrero فاستحالت الى شمرير .

الشمشك

اننا نجد فى احدوثة ابي الحسن المهرج ، وهي الاحدوثة التى لا توجد الا فى طبعة هابيخت لكتاب الف ليلة وليلة (راجع لين ، الف ليلة وليلة ، ج 2، ص 356) والتى لموضوعها شبه كبير بموضوع المدخل الى ترويض الشرسة لشكسبير .

. Taming of the Shrew de Shakspeare

وشبه ب : Krelis Louwen للانكنديك Langendjik .

اقول ، اننا نجد النص التالي ، الذى سبق لفريتاك ان ذكره : « فقدم له المملوك شمشكا مطبوعا بالابريسم والحرير الاخضر مرصع بالذهب الاحمر فأخذه ابو الحسن ووضعه فى كمه وصاح المملوك وقال : يا الله يا الله يا سيدي هذا شمشك مداس لرجلك حتى تدخل المسترفق (1) . (ج 4 ، ص 357) .

ويترجمه لين هنا (ج 2 ، ص 357) : انه فردتا مداس ... ولما كان المؤرخ الاسحاقي يقص علينا قصة مماثلة ، كما يقول لين ، فسيكون من الاهمية بمكان ان نعلم ما اذا كان يستعمل هنا نفس الكلمة ام كلمة اخرى تفسر لنا كلمة شمشك .

لقد علمنا من

(«M. Fleischer» de glossis Habichtianis, pag. 92)

انه وجد فى مسرد لمعاني كلمات قبطية عربية كلمة (كتسكن) ترجمة لكلمة شمشك . وهذه الكلمة ليست الا الكلمة الفارسية موزه ، التي تعني نعلا او مداسا او جزمة او خفا ، وهي فى اللغة العربية موزج (2) ولم اقع على كلمة شمشك فى موضع آخر .

الشملة ، الشملة ، المشملة

ينبغي اضافة كلمة شملة وجمعها شمل الى القاموس .

وقد رأينا آنفا ـ حول كلمة برد ـ ان الشملة هي البردة ـ وان ما يميز الشملة من البردة هو حياكة شيء اضافي (بعض الزينة) فى حاشية البردة ـ وليست الحالة هي هي بالنسبة للشملة . وقد لاحظنا (سابقا فى هذا الباب) ان هذا الكساء كان شائع الاستعمال فى عهد الرسول (ص) اذ ان احد الرحالين العرب من القرن السابع الميلادي ـ وهو ابن جبير (راجع كلمة خرقة) يعد الشملة من بين

---

(1) النص بالعامية فلا يطالب كاتبها بالتزام النحو .

(2) تذكروا ان المصريين يلفظون الجيم لفظ الفرنسيين لحف (G) امام A و O و U

ملابس البدو . وفي هذا النص ذاته نجد جمع كلمة شملة وهو شمل (1) .

وهذه الكلمة تذكرنا بالكلمة العبرية شملا التى كانت تشير الى رداء كان الفقراء يستعملونه كذلك بمثابة غطاء ودثار اثناء الليل . وقد سبق لنا ان عرفنا ـ فى مجال الحديث عن كلمة بردة ـ ان هذا الكساء كان وما يزال يستعمل نفس الاستعمال .

الشمـــال

يرى القاموس ان هذه الكلمة تدل على الملحفة . راجع هذه الكلمة .

الشنتيـــان

لا وجود لهذه الكلمة ـ التى لا ريب فى اصلها الاجنبي ـ فى القاموس .

وهي تشير فى مصر الى سراويل امراة يلبس لبسة التبان . اما فى ايام الحملة الفرنسية ـ فان كلمة شنتيان لم تكن تدل الا على « سروال شتائي » للمراة ـ فى حين ان التبان او السروال الصيفي كان له اسم لباس . راجع (الكونت دي شابرول فى كتابه « وصف مصر ، ج 18 ، ص 112 » . ولكن فى ايامنا هذه لا توجد الا كلمة شنتيان للاشارة الى التبان او السروال النسائي ـ فى حين ان كلمة لباس مخصصة لتبان الرجال ـ كما يمكننا رؤية ذلك برجوعنا الى كتاب لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 39 ـ 56 ـ 57 ـ 58) حيث نقع على الوصف التالي للشنتيان : « هناك تبان مسرف فى الفضفضة والسعة اسمه شنتيان ـ وهو مصنوع من القماش الملون المخطط ـ من الحرير او من القطن ـ او من الشاش الثمين الملون او المطرز او الموشي او المفوف ـ الابيض اللون ـ الاملس الملمس ـ وهو يشد حول الخصر تحت القميص بدكة (راجع كلمة دكة) ـ ولكنه على درجة كافية من الطول ـ بحيث انه ينساب حتى القدمين ـ او يكاد يصل الى الارض ـ عندما يشد على هذا المنوال » .

ويقرر المقدم نابيه فى كتابه (ذكريات عن سورية ، ج 1 ، ص 144) ان هذا الكساء تلبسه نساء بيروت ايضا . وهذا الرحالة يكتب الكلمة Shintien ويفسرها بهذه الجملة : تبان حريري

---

(1) يرى اللغويون العرب ان الشملة والمشملة تدلان على نوع من القطيفة ـ ولكنهما تختلفان عنها بقلة الفضفضة والاتساع . وكلمة قطيفة تدل على غطاء فراش . اذ يقول مارمول فى كتابه (وصف افريقيا ج 2 ، ص 4 ، مج 2) فى وصفه لحاحة Héha ـ وهي ولاية فى اقصى الغرب من مملكة مراكش : « ان السرر الاعتيادية للرؤساء والاعيان تتكون من القطائف المزابرة التى نراها تجلب من افريقيا ـ وهم يبطنونها بعدة بطانات ويستعملون احداها ـ وهي طويلة ـ بمثابة غطاء فوقاني » . ونجد فى رحلة ابن جبير ، مخ ص 177) : « القطائف الجياد يفترشونها عند رقادهم . والقطيفة تشير كذلك الى نوع بساط او سجادة ـ ذلك لان مؤلف كتاب (مهمة تاريخية فى مراكش ـ ص 5 ، مج 2) يقول ان الملك يجلس فى مجلس الشورى « على بساط او قطيفة من الصوف » . ويترجم بيدرو دي الكالا كلمة Alhonbra (بساط) (سجادة) بكلمة قطيفة . ونقرا فى رحلة ابن بطوطة (مخ ـ ص 259): واتوا بنا الى بستان عليه حائط خشب فى وسطه دار بناؤها بالخشب مفروشة بقطائف قطن . ولكنني سأجعلكم تلاحظون ـ بهذه المناسبة ـ ان كلمة قطيفة تشير ايضا الى المخمل . فنحن نقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ـ ج 2 ، ص 199) : رزمة قطيفة ـ وهذا ما يترجمه لين (ج 2 ، ص 304) بما يلي رزمة قطيفة A bale of velvet ويترجم بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) كلمة Terciopelo (المخمل) بكلمة قطيفة . ونجدفى كتاب تاريخ اليمن (مخ 477 ، ص 62) : « امر له بجملة من الكساء النفيس من ملابيسه من القطائف ونحوها . ونقرا بعد ذلك (ص 65) : « امر له بجملة كساء من الشاش الغالي والقطائف النفيسة » .
ولكلمة شملة ايضا معنى آخر لا وجود له فى القاموس . فهي تشير ـ حسبما يقول بركهارت فى كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين ، ص 39) وهو يكتب الكلمة شملة Shemle ـ انها كيس مصنوع من وبر ابل ـ ويستعمله البدو لحجب ضرع الناقة عن حوارها لكيلا يرضعه » .

فضفاض Loose silken drawers ويتوهم فيسكيه قليلا فى كتابه (رحلة الى الشرق ، ص 41) فيكتب الكلمة شكسيـــان . Chakseïann .

الشـــوبـــر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ونحن نقرا فى احد كتب بركهارت (ملاحظات حول البدو والوهابيين ، ص 28) انّ النساء لـدى البدو يضعن على رؤوسهن طرحة تدعى Shauber (شوبـر) او Mekroune مقرونـة ، وترتـدي الفتيات اليافعات هذه الشوابر من اللون الوردي ، اما النساء الطاعنات فى السن فيتخذنها من اللـون « الاسود » . وهذه الكلمة مكتوبة على هذه الصورة (شوبر) فى قائمة الكلمات العربية فى نهاية الكتاب.

المشـــود ، المشـــواذ

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 441) هاتين الكلمتين بأنهما العمامة . فهل يا ترى تشير هاتـان الكلمتان الى نفس عمارة الراس Coïffure كوافير التى تشير اليها كلمة مشوش ؟

الشـاش وجمعـــه الشاشـــات

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وقد اورد عالمان من الطراز الاول بعض التفصيلات عن كلمة شاش ــ الا وهما سيلفستـــر دي ساســـي (طرائف عربية ، ج 1 ، ص 199) وكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ــ ج 1 ، ق 1 ، ص 137). وكما هو ديدني ــ لن اورد اي نص ــ سبق لهذين العالمين ان ذكراه ــ دون تنبه القاريء لمن انا مدين له بالشكر.

تشير كلمة شاش الى : قطعة من البز تلف حول طاقية او عرقية او كلوتة العمامة . فنحن نقرا لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ص 192) : « تعمم بشاش دخاني عتيق » . ونجد نفس الكلمات لـدى المقريزي (تاريخ السلاطين المماليك ــ ج 1 ، ق 2 ، ص 63) . وفى موضع آخـر (مخ 19 ، 135) : فأكرمه السلطان واحسن اليه وانعم عليه بتشريـف اطلس معدني زركش وشاش رقم وحياصة ذهـب مجوهرة على عادة اكابر نواب السلطنة الشريفة » .

وفى مكان آخر مخ 19 ، ص 135) : « ركب فـى الموكب بالاقبية الاسلامية والكلوتة والشاش على عادة العساكر المصرية » . ونطالع فى كتـاب الف ليلـة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 159) : « فاخذ بدر الدين حسن الرقعة وطواها وخيطها بين البطانة والظاهرة ولف عليها شاشة » . (فى هـذا النـص يتحتم اضافة (فى شاشيته) بعد (وخيطها) ــ وهذا التصحيح يصبح اكثر احتمالا لـدى حكايـة نفـس الواقعة فى (طبعة هابيخت ــ ج 2 ، ص 29 ، سطر 3) وفى موضع آخر (طبعة مكناكتـن ــ ج 1 ، ص 165) : وكان عليه الطربوش والشاش . وفى (طبعة هابيخت ــ ج 2 ، ص 44) : وعليه شاش بطرفين ». واخيرا (ط مكناكتـن ــ ج 1 ، ص 171) : وقلـع شاشه وعلقها على الكرسي » . (الكرسي المخصـص لوضع العمامة عليه ــ راجع كلمة عمامة) . ونقرا فى حكاية عربية (لدى كوسان دي برسفال ــ النحو العامي ــ ص 9 من النص العربي) : «اشترى قرطاس حلاوة وجعله فى عمامته ... فراى فى شاش الحكم حلاوة » . والحديث عن حاكم اشترى وخليفة راى. ونجد فى الكتاب المعنون (قصة رحلة فى مطلع عام 1610 ــ 63) ان الشاشيات Shashes « هـي مناديل من البز تلف حول الراس » . ويقول داندیني (رحلة من جبل لبنـان) ــ ص 44، ــ 45) عـن طراباس الشرق : « ويلفون لفا محكما حول الطاقية قطعة من القماش القطني الابيض يسمونه Sessa فيكورون عمامة كبيرة او صغيـرة حسـب منـازل الاشخاص واقدارهم . فهؤلاء الذين يعلـون علـى الآخرين ــ بمولدهم او بوجاهتهم ــ يلبسون العمائم الضخمة ــ وبينهم من يبالغ فى تضخيم عمامتـــه الى حد الافراط والاسراف ». ونجد فى كتاب (يوميات رحلات مونكوني ــ ص 381 ، ج 1) : « ان الشرفاء يلبسون الشاش الاخضر » . ونقرا فى رحلة م . ج. ب الى الاراضي المقدسة : « ان القلانـس المخمليـة الحمراء والشاشات البيضاء التى لا يجوز التعمم بها الا من قبل المسلمين وحدهم ــ محرمة على النصارى اذا لم تكن مشوبة بلون آخر » . ويقـول تافرنييـه (الرحلات ــ ج 1 ، ص 630) عن الفـرس : « ان شاشهم الذى نسميه نحن عمامة مصنوع من نسيج حريري غاية فى النعومة والرقة ومرصع بالذهـب والفضة ويكاد يشبه شكل يقطينة مكورة من يقطيننا. وهو مسطح قليلا من اعلاه حيث ينتهـي طـرف من القماش المزين بأزهار ذهبية او فضية بشرائط تشبه طاقة ورد . وهذه القلانس ثقيلـة الـوزن كثيـرا

ـ لاسيما تلك التي يقل فيها الحرير ـ والتي تكاد تتألف من الذهب والفضة وحدهما . وهذه غالية الثمن بحيث ان اهونها يكلف مائتين من الايكوات Ecus ونجد من هذا النوع على راس الملك وعلى رؤوس الكبراء والاعيان بحيث يبلغ سعر القلنسوة الواحدة اربعمائة او خمسمائة قطعة من العملة المذكورة . ومن النادر رؤية ضابط كبير لا يضع في قلنسوته بعض الاحجار الكريمة » .

ونقرا في كتاب دي لا موتري (رحلات الى اوروبا وآسيا وافريقيا ـ ج 1 ، ص 11) : « ان الشاش هو قطعة من الموصلي او من نسيج القطن الذي يحيط به الشرقيون طاقيتهم ـ فاذا طوقت الطاقية على هذه الصورة سميت (دلبند : Tulbend) ـ او طربان Turban عمامة ـ حسب نطقنا بالكلمة » . ونقرا في كتاب نيبور (وصف الجزيرة العربية ـ ص 59 (1) : « وهم يحيطون هذا الحشد من الطاقيات بقطعة كبيرة من القماش الموصلي المسمى بالشاش ـ وهو مزدان من الجانبين بحواش وهدابات حريرية بل وحتى ذهبية ـ ويدعها حاملوها تنساب على الظهر بين الاكتاف » . والحقيقة ان كلمة شاش موجودة بهذا المعنى في تاريخ اليمن (راجع رتجر ـ ص 159) . ولما كانت كلمة الشاش تستعمل للدلالة على قطعة من البز تطوق الطاقية او العرقية او الكاوتة او الكلوتات ـ فلن ياخذنا العجب اذا قرانا ان هذا الشيء يستعمل استعمالات اخرى ايضا . (يستعمل استعمال العمامة ويقوم مقامها احيانا) . وفي تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 87) نجد : « فخنقوه بشاش عليه وقيل بوتر وعلقوه بعمامته واظهروه انه شنق نفسه » . ففي هذا النص ـ كما ترون ـ هي معادلة لكلمة عمامة .

وجمع شاش شاشات ـ والكلمة موجودة في بيت ذكره السيوطي (راجع سيلفستر دي ساسي ـ طرائف عربية ـ ج 1 ، ص 145) ـ وانني اقرا لدى المقريزي (وصف مصر ـ ج 2 ، مخ 372 ، ص 351) : « لبسوا الشاشات » .

ولكن كلمة شاش كانت تشير كذلك في العهود القديمة الى شيء آخر ـ فهي ـ كما برهن على ذلك كاترمير (كتابه القيم) مستندا الى كتاب السلوك للمقريزي « عصبة ابتكرتها النساء عام 780 ـ وكانت تشبه سنام البعير . وهي تبدا فوق جبين المراة وتنتهي قرب الظهر . ولبعض هذه العصائب طول يقارب الذراع ـ ولها ارتفاع يبلغ اقل من ربع الذراع » .

والواقع انني اطالع في تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 ـ ص 16 ـ حوادث سنة 787) « وفي رجب جرت حديثة وهي ان امراة صالحة رات النبي صلى الله عليه وسلم في منام وهو يقول لها : قولي للنساء ان ينتهوا عن لباس الشاش . وكان شيئا قد اقترحته النساء يلبسنه على (روسهم) مثل صنم (سنم) (يلبسنه على رؤوسهن ؟) .. (سنام ؟) الجمل . وطوله نحو ذراع وارتفاعه ربع ذراع ويزخرفونه بالذهب واللؤلؤ . وبالغوا في ذلك . وكان بدعة سيئة من السيئات ..

وكلمة شاش ـ بمعنى قطعة القماش التي تحيط بالكلوتة او الطاقية او العرقية ـ كانت معروفة الاستعمال في الجزيرة العربية وفي سورية ومصر وفارس ـ كما راينا. ومن هذه الكلمة كون الانجليز كلمتهم Sash التي يستعملونها اشارة الى طرحة او حزام او نطاق او زنار .

الشاشية

بالرغم من اضطراري مرارا الى اتهام القاموس بكونه ناقصا ـ فان من العدل كل العدل ان اقول ان كلمة شاشية قد وجدت في هذا القاموس مرتين . المرة الاولى يوم وضعها فريتاك (ج 2 ، ص 419 ، مج 2 ، بمعنى كلوتة ـ عرقية ـ طاقية ـ في الحديث عن كلمة ششاء ـ والمرة الثانية (ج 2 ، ص 464 ، مج 2) في موضعها الاصلي ـ في معرض الكلام عن كلمة شوش ـ بوصفها تشير الى الشاش الموصلي .. في الموضع الاول لم يكن يكلف احد نفسه عناء البحث عن هذه الكلمة ـ فالحقيقة ان الكلمة قد وجدت في موضعها هذا عن طريق الخطأ ـ ذلك لان لعبا بالكلمات قد حدث في بيت نقله السيوطي (دي ساسي ـ طرائف عربية ـ ج 1 ، ص 145) ـ حول كلمتي تشويش وشاشات يضاف اليهما كلمة مشوش ـ وهذا اللعب يؤكد بصورة لا تقبل الشك ان عربيا صميما لو كان في محل هذا الدخيل لوضع كلمتي شاش وشاشية في باب كلمة شوش . وقد سبق

(1) ذكر هذا النص سابقا كل من دي ساسي وكاترمير .

لكل من سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية ، ج 1 ، ص 199) وكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ق 1 ، ص 137) ان تحدث عن هذه الكلمة ـ في تفسيره لكلمة شاش .

وتشير كلمة شاش في المغرب ـ كما كانت تشير في مصر ـ الى الكلوتة التي توضع على الراس ـ والتي تلف حولها قطعة قماش لتتكون العمامة على هذا المنوال . ونحن نقرا في كتاب الرحالة المغربي ابن بطوطة (مخ دي كاياتكوس ـ ص 35) : « ضربوه بالايدي والنعال ضربا كثيرا حتى سقطت عمامته وظهر على راسه شاشية حرير فانكروا عليه لباسه . وفي موضع آخر (ص 189) : والنقباء بين يديه على راس كل واحد منهم شاشية مذهبة وفي وسطه منطقة (والحديث يجري عن النقباء ونقيب النقباء في Dehli) وبعد ذلك (ص 191): ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه وكل واحد منهم تكون على راسه شاشية ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب وبعضهم يرصعها بالجوهر . واخيرا (ص 224) : عشر شواشي من لباسه احداها مرصعة بالجوهر . ويقول دابر في كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ـ ص 241 ، مج 1) ان احد خدام سفراء ملك مراكش » كان على راسه طاقية من الصوف الاحمر ـ مرتفعة قليلا ـ وهي تسمى شاشية Hieissya وكان رفيق هذا الخادم يلبس نفس النوع من الطاقية (المرجع السالف) .

ويقول دييكو دي توريس (تاريخ الشرفاء ، ص 86) عن سكان مراكش : يلبسون الطواقي الحمراء من ارجوان طليطلة بدل القبعات ـ ويلبس كذلك كل منهم عمامة او شدا .

ويذكر مارمول (وصف افريقيا ـ ج 2 ، ص 102 ـ مج 3) . ان قلانس سكان فاس هي الطاقيات الارجوانية الشبيهة بالطاقيات التي يحملها التجار الاسبان للبيع » .

ويضيف مارمول الى ذلك قائلا : « ان هناك قلة من الاشخاص تلف قطعة قماش حول هذه الطاقية ». وهذا الزعم مؤيد بشهادة هوست (راجع كلمة شد). والحقيقة ان الناس في المغرب يكتفون على العموم بالطاقية وحدها ـ شأنهم في ذلك شأن الناس في اسبانيا ـ حيث كانت الشاشية تسمى غفارة . (راجع هذه الكلمة) . ويقرر هوست في كتابه (اخبار من مراكش ، ص 114) ان قسما من الرجال المتزوجين لا يلبسون الا طاقية من الصوف الاحمر تدعى ساسية : Sesia ولهذه الطاقية وقع خاص لدى المغاربة ـ بحيث اذا وضعها احد من النصارى او اليهود على راسه ولم ينزعها امام لابسيها من المغاربة ـ فانهم في هذه الحالة يعتبرون هذا العمل تصريحا باعتناق الديانة الاسلامية ـ ولن يستطيع هذا المسيحي او ذاك اليهودي افلاتا من هذا الاعتبار!» اما بالنسبة لمصر ـ فاننا واجدون هذه الكلمة في الاغلب لدى مؤلفي هذا القطر ـ امثال المقريزي ـ ونعثر على هذه الكلمة مستعملة كذلك بكثرة في كتاب الف ليلة وليلة . ولكنني لا افهم على الاطلاق كيف وسع سيلفستر دي ساسي (كتابه القيم) ان يقول: « اعتقد ان الشاشية في نصنا تعني قطعة من الشاش الموصلي ـ ولها نفس الاستعمال في مصر ـ هذه الكلمة هي الاسم الذي يطلق على الشاش الموصلي ».

انني محرج غاية الحرج ان اكون في حالة حتمية القول بوجود اخطاء كثيرة هنا بقدر وجود كلمات . فان العبارة هي (ج 1 ، ص 67 من النص العربي) : « وصار الحاكم يركب حمارا بشاشية مكشوفة بغير عمامة . وهذا ما يترجمه دي ساسي ترجمة حسنة للغاية (ص 109) . والخلاصة ان كلمة شاشية لا تعني الشاش الموصلي البتة ـ كما يؤكد ذلك دي ساسي ـ دون الركون الى اي دليل ـ وكما تقبل هذا المذهب فريتاك بجراة وتهور ، وانما كلمتا شاش وشاشات هما اللتان تحملان هذا المعنى ـ كما اثبت ذلك كاترمير (كتابه القيم) . ولكن ما يضيفه دي ساسي وهو : « ان الطاقيات التونسية الحمراء ـ التي يقلدونها في فرنسا ـ وخصوصا في مدينة اورليان ـ معروفة في مصر باسم طربوش وجمعه طرابيش » مطابق كل المطابقة للحقيقة ـ ذلك لانه يبدو ان كلمة شاشية مجهولة في مصر في ايامنا هذه ـ وهم يسمونها اليوم بالطربوش .

ويظهر ان هذه الكلمة تلفظ في سيوه شاشة ـ ذلك لان هورنمان في كتابه (مذكرات حول رحلة من القاهرة الى مرزوق ص 22 ـ 24) يكتبها تشاشت Tschatschet ـ ويقول انها طاقية من الصوف الاحمر ومن القطن الابيض . وكان لهذه الكلمة معنى آخر في مدينة الجزائر ـ فقد كانت تدل على : طاقية امراة . اذ يخبرنا دييكو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر ـ ص 27 ، مج 4) ان نساء هذه المدينة يلبسن فوق البناقة ثلاثة انواع من عمارات الراس حين يحضرن الحفلات والاعراس ـ وهن

يضعن على رؤوسهن ـ لا سيما اذا كن موسرات ـ بيريه مستديرة مصنوعة من الخز او من نسيج الاطلس او الدمقس المرصع بالذهب بعذوبة وحلاوة وروعة . وهن يسمين هذه البيريه Xixia ـ وبعضهن يزين هذه العمارة بعدد كبير من الجواهر والاحجار الكريمة ـ ما استطعن الى ذلك سبيلا » .

المشـــوش

لقد لاحظ كوليوس Golius معتمدا على Maroufi ان هذه الكلمة تدل على عمامة صغيرة. اذن يبدو ـ والحالة هذه ـ ان المشوش هو شاشية قصيرة لا تدور الا عدة دورات حول الراس .

الشـــال

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

والشال هو الكلمة الفارسية شال Châle ـ التى تسربت الى عدة لغات اوروبية ـ فنحن نقرا فى بحث الكونت دي شابرول (وصف مصر ـ ج 18 ص 108) : الشال هو قطعة طويلة من الشاش الموصلي او من النسيج الصوفي الذى يطوى ويلف عدة لفات حول الطربوش . ويتخذ الاثرياء هذا الشال من الكشمير » .

ونجد فى كتاب بركهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين ـ ص 28) ان جميع نساء روالة يضعن على رؤوسهن طرحا من الحرير الاسود ـ تبلغ مساحة كل طرحة مترين مربعين ـ وهن يسمين هذه الطرحة Shâle kâs (شال قز ـ خز ؟ ـ المترجم) ـ وهي تصنع فى دمشق » . واعتقد ان جملة Shâle kâs تعني شال قاسح اي الشال الكثيف او الكثاف .

الصتيـــة

يذهب القاموس (ط كلكتا ـ ص 185) الى ان الصتية هي الملحفة ـ او بالاحرى هي نوع من القماش (او اللباس) الوارد من اليمن ـ الملحفة او ثوب يمني) . واعتقد ان هذا الكساء كان مخططا .

الصـــدود (1)

توجد هذه الكلمة فى طبعة كلكتا للقاموس (ص 380) مفسرة بكلمة المحول . واجد كذلك هذه الكلمة بحرف ح فى مخطوطات ليدن رقم 375 . ورقم 37 . ولكن مخطوطة المرحوم فان در بالم Van der Palm التى تملكتها حديثا مكتبة ليدن والتى تحمل الآن رقم 1581 ـ تعرض المجول بحرف ج . فاذا كان هذا هو الرسم الحقيقي للكلمة فان الصدود يشير الى : قميص قصير للمراة .
Une courte chemise de femme

الصـــدار

اليكم ما نقرا فى سفر الجواهري (ج 1 و ص 316) : « قميص صغير يلي الجسد » . وفى المثل : « كل ذات صدار خالة » (2) . اي من حق الرجل ان يغار على كل امراة كما يغار على حرمه.

وهذا المثل موجود ايضا لدى الميداني (ط فريتاك ، ج 2 ص 310)، حيث ان الصدار كان كساء قديما قد تبنته النساء كافة دون استثناء . ويفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 576) كلمة صدار على هذه الشاكلة : « ثوب راسه كالمقنعة واسفله يغشى الصدر » . ويتفق التبريزي (شرح الحماسة، ص 801) ـ وقد سبق لفريتاك ان ذكره ـ مع القاموس اكثر من اتفاقه مع الجوهري ، اذ يقول ان الصدار هو : « الثوب الذي يبلغ الصدر » .

---

(1) لا اعني كلمة الصداد ، التى ذكرها القاموس (ط كلكتا ، ص 380) . قائلا : « ما اصطدت به المراة وهو الستر » .

(2) كل ذات صدار خالة : الصدار كالصدرة تلبسهاالمراة . ومعناه ان الغيور اذا راى امراة عدها فى جملة خالاته لفرط غيرته .. وهذا المثل من قول همام بن مرة الشيباني وكان اغار على بني اسد ، وكانت امه منهم . فقالت له النساء : « اتفعل هذا بخالاتك ؟ » . فقال : « كل ذات صدار خالة » فارسلها مثلا . قلت ويجوز ان تكون الخالة بمعنى المختالة . يقال رجل خال اي مختال . يعني ان كل امراة وجدت صدارا تلبسه اختالت . (مجمع الامثال للميداني ، 1353 هـ ، ج 2 ، ص 78 ، 79) . (المترجم).